سياسة الخليفة المتوكل على الله الدينية ٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م
دراسة تاريخية تحليلية

فتحي يوسف الشواورة

قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل
الأحساء، المملكة العربية السعودية

الملخص:

سلك الخليفة المتوكل على الله سياسة دينية تمثلت في اتخاذه موقف العداء تجاه بعض المدارس الفكرية والمذهبية في عصره. حيث قام بإجراءات تجاه مذهب المعتزلة كالتضييق على أتباعه ونكب بعضهم، ومنعهم من الحديث في أفكار مذهبهم وتوجهاته.

أما العلويين فإنه تشدد معهم واتخذ بحقهم إجراءات وقائية لضمان سلامة الدولة من الناحية السياسية - من وجهة نظره - ، وقام بفرض قيود جديدة على أهل الذمة من خلال إصداره مراسيم منظمة لمظاهرهم ووظائفهم، كما أنه حدّ من نفوذهم المالي والاجتماعي والوظيفي دون أن يمس معتقداتهم أو يتعرض لها.

وقد كانت إجراءات المتوكل تهدف إلى إرضاء الفقهاء والمحدّثين، وأتباعهم من العامة، وذلك لحاجة هذا الخليفة إليهم في أزمته مع القادة العسكريين الأتراك المحيطين به، ونتج عن هذه السياسة تبلور مذهب أهل السنة والجماعة في المجتمع، حيث أثبت الفقهاء والمحدثين أنهم لعبوا دورا كبيرا في إبراز مذهب السلف الصالح.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد؛ فلقد شهد العصر العباسي الأول أحداثا سياسية وفكرية ومذهبية جسيمة، عصفت بالأمة في بعض المراحل، ونتج عنها فرقا ومذاهب عدة، كمذهب الاعتزال الذي اضطهد علماء الأمة ومحدثيها، يوم أن التصق بسلطان الدولة العباسية وتبناه الخلفاء، ففي الوقت الذي تسلط فيه هؤلاء على رقاب الناس سياسيا ودينيا وفكريا، كان أهل الذمة يتسلطون على رقابهم ماليا واقتصاديا واجتماعيا.

ولّد ذلك الوضع - بكل جوانبه - موجة من القطيعة بين الخلافة العباسية وقاعدتها الاجتماعية من العامة،فَكرِه الناس في ذلك العهد الملل والنحل الرذيلة وكرهوا كل فكر لا يتماشى مع العقيدة الصحيحة والسنة، فالتف العامة حول الفقهاء والمحدثين كالإمام أحمد بن حنبل الذي قدم صورة مميزة من صور الثبات على الحق في أحلك الظروف، فكان صابرا؛ شيمته الجلد مدافعاً عن العقيدة حتى لا تعلق بها الشوائب بسبب هؤلاء، وكان هذا الصبر الذي أبداه أحمد بن حنبل وغيره من المحدثين كأحمد بن نصر الخزاعي خير معين للخليفة المتوكل على الله، لينهج سياسته الدينية التي نجم عنها إضعاف مذهب المعتزلة.

وتشدد الخليفة المتوكل على الله مع أهل الذمة وضيق عليهم في إطار الوظائف العامة في إدارة الدولة، ومنعهم من استغلال نفوذهم الوظيفي في التسلط على رقاب الناس، أما العلويون فقد اتخذ بحقهم إجراءات كانت - في بعض الأحيان - قاسية وفي أحيان أخرى كانت مبررة لضمان سلامة الدولة.

وقد أيد العامةَ وعلى رأسهم الفقهاء والمحدثون سياسة الخليفة وتوجهاته هذه، ونجم عن كل ذلك بروز مذهب أهل السنة والجماعة على السطح، بعد أن اختلف مع علمائه ثلاثة من الخلفاء واتهموه بالجهل والضلال، واتهموا أتباعه بالكفر في بعض الأحيان.

وجاء اختياري لهذا الموضوع لعدم وجود دراسة متخصصة في هذا المجال بحدود إطلاعي، حيث أن اغلب ما كتب في هذا الموضوع كان عاما سطحيا مختصرا أثناء الحديث عن الخليفة المتوكل وعهده.

وقسم هذا البحث إلى أربعة موضوعات رئيسة؛ جاء الأول منها عن تعريف لشخصية هذا الخليفة والعوامل التي أثرت في تكوين سياسته الدينية، أما الموضوع الثاني فقد تناول سياسته تجاه العلويين، في حين بحث الموضوع الثالث إجراءات الخليفة المتوكل تجاه المعتزلة، وقد قام الباحث بدراسة المعتزلة تاريخيا في عهود الخلفاء الذين سبقوه، حتى يتحقق المقصد من البحث وهو بيان الأسباب التي دفعته لاتخاذ موقفه من المعتزلة، وخصص الموضوع الرابع لدراسة سياسة الخليفة المتوكل على الله تجاه أهل الذمة،

وقد حاول الباحث الوصول إلى الأسباب والعلل التي كانت وراء سياسة المتوكل تجاه هؤلاء.

واختتم هذا البحث بأبرز النتائج التي توصل إليها الباحث، وقائمة لمصادر ومراجع الدراسة.

وإن الباحث إذ يكتب هذا البحث يقر فيه أنه إن أحسن فيه فهو من الله الذي لا إله إلا هو وإن أساء فيه فهو من نفسه، وما توفيقي إلا بالله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التعريف بالخليفة المتوكل:

هو الخليفة المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ويكنى ابا الفضل(١). وهو من أم ولد خوارزمية اسمها شجاع(٢)، ولد في شوال من سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م(٣).

ومن صفاته انه كان أسمر اللون حسن العينين، خفيف العارضين، نحيفا يميل إلى قصر القامة، لم يكن سلوكه قبل الخلافة، مقبولا من أخيه الخليفة الواثق بالله(٤)، فقد وصفه البيهقي: بأنه كان يلبس زياً لا يتفق مع معايير وقيم الأسرة العباسية من حيث الحشمة، كما كان مظهره يتنافى مع تقاليد البلاط العباسي(٥)، حتى أن أخاه الخليفة الواثق بالله غضب عليه، وأحضره إلى مجلسه وأمر من يحلق شعره ويؤنبه(٦).

وصوله إلى سدة الخلافة:

لم يعهد الخليفة الواثق لأحد من بعده بالخلافة(٧)، وعندما طُلب منه أن يولي ابنه محمداً العهد قال: "لا يُراني الله أتقلدها حيًّا وميتاً"(٨)، وسبب ذلك يعود إلى أن هذا الابن كان صغير السن عندما حضرت ابيه الوفاة يذكر الطبري: "أن الواثق لما توفي حضر الدار أحمد بن أبي دؤاد وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرج وابن الزيات وأحمد بن خالد فعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق وهو غلام أمرد، فألبسوه درَّاعة سوداء وقلنسوة رصافية(٩)، فإذا هو قصير، فقال ابن أبي دؤاد: أما تتقون الله! تولون مثل هذا الخلافة وهو لا يجوز معه الصلاة"(١٠).

وهذا يفيد أن الواثق لم يكن متحمساً لتولية عهده لأحد فابنه صغير السن، كما أنه لم يكن مقتنعا بأخيه جعفر المتوكل بسبب سلوكه ومظهره، وقد حاول المتوكل أن يتوسط لدى الوزير ابن الزيات عند الخليفة، يقول البيهقي: "أتى جعفر –المتوكل- إلى محمد بن عبد الملك الزيات مستغيثاً ليكلم أخاه، فدخل عليه فمكث مليًّاً واقفاً بين يديه لا يكلمه ثم أشار إليه أن يقعد فقعد، فلما فرغ من نظره في الكتب التفت إليه فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت لتسأل أمير المؤمنين الرضى عني فقال لمن حوله: انظروا إلى هذا، يغضب أخاه ثم يسألني أن أسترضيه؛ اذهب فإنك إن صلحت رضي عنك، فقام جعفر كئيباً حزيناً لما لقيه به من قبح اللقاء فخرج من عنده، وكتب محمد بن عبد الملك إلى الواثق حين خرج من عنده: يا أمير المؤمنين أتاني جعفر بن المعتصم يسأل أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه في زي مخالف لتعاليم الإسلام، فكتب الواثق إليه: ابعث إليه فأحضره ومر من يحلق شعره ويؤنبه"[(١١)].

وهذا يعني أن الواثق لم يجد من يوليه العهد، فابنه محمد صغير، وأخوه جعفر المتوكل على الله على علاقة سيئة معه بسبب سلوكه ومظهره، وهذا ما يفسر قيام جعفر المتوكل فيما بعد بنكب جميع رجالات أخيه من المعتزلة وإحياء مذهب أهل السنة.

إن عدم تعيين الواثق وليا لعهده قد فتح المجال أمام الترك للتدخل في اختيار شخص الخليفة وهو أمر لم يكن له سابقة من قبل[(١٢)].

وهناك من يرى أن من أسباب عدم تعيين الواثق بالله ولياً للعهد هو إدراكه أن لا فائدة من تولية عهده ما دام أن الأمر لا يتم إلا بموافقة القادة الأتراك بسبب تسلطهم على الأمور، وهذا ما أثبتته مجريات الأحداث فيما بعد[(١٣)].

وصل المتوكل على الله إلى سدة الخلافة بسب الظروف السابقة التي أعقبت وفاة أخيه الواثق وبدعم وتأييد من قادة الجيش الترك ومنهم أشناس[(١٤)] وإيتاخ[(١٥)] بغا الكبير[(١٦)] ووصيف[(١٧)] الذين لعبوا دورا كبيرا في تعيين الخليفة الجديد، وهذا ما أدى

إلى تنامي نفوذ الأتراك السياسي والإداري فيما بعد، وجعلهم يشعرون بأهمية دورهم في اختيار من يجلس على كرسي الخلافة.

وبذلك وجد الخليفة المتوكل نفسه محاطا بجموع غفيرة من العسكر الأتراك الذين بدأووا يضيقون عليه الخناق ويتدخلون في إدارة الدولة على اعتبار أنهم هم الذين أوصلوه إلى السلطة، فادى ذلك إلى قطيعة بين الخليفة وعامة الناس الذين سئموا وكرهوا تصرفات الأتراك وقسوتهم منذ عهد الخليفة المعتصم(١٨).

وهذا الأمر هو الذي جعل الخليفة المتوكل يبحث عن القاعدة الشعبية الممثلة بطبقة العامة، ولاسترضاء العامة لا بد من إرضاء قادتهم من الفقهاء والعلماء والمحدثين، ولعل هذا من أهم الأسباب التي جعلت الخليفة المتوكل على الله ينتهج سياسة قربته إلى جمهور العامة، كان مضمونها القضاء على مذهب المعتزلة والتضييق على المذاهب الأخرى في عهده، في محاولة لإعلاء شأن المحدثين من أهل السنة والجماعة(١٩).

عوامل تكوين سياسته الدينية:

يتضح من العرض أن الخليفة المتوكل على الله قد وصل إلى الحكم ومؤسسة الخلافة في معزل عن عامة الناس الذين كرهوا خلفاء بني العباس وشنعوا عليهم(٢٠) بسبب تسلط الجند الأتراك وتحكمهم في مقاليد الدولة.

وفيما يتعلق بعلاقة السلطة مع العامة في هذه الحقبة فإن ثمة أمر آخر، وهو أنه منذ عهد الخليفة المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ/٨١٣ - ٨٣٣م) حدثت قطيعة بين العامة والسلطان بسبب تبني ثلاثة من خلفاء بني العباس (المأمون والمعتصم والواثق) لمذهب الاعتزال مذهباً رسمياً للدولة العباسية، وما نتج عنه من اضطهاد للعامة وتعذيب للفقهاء والمحدثين وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، فيما عرف بالمحنة(٢١).

اتبع هؤلاء الخلفاء سياسة وصلت حداً لا يمكن تحمله أو قبوله، فقد اضطهدوا الإمام أحمد وعذبوه(٢٢)، وقتلوا الشيخ احمد بن نصر الخزاعي(٢٣). فكانت القطيعة بين الخليفة وقاعدة الحكم الممثلة بالعامة هي أولى المشكلات التي واجهت الخليفة المتوكل على الله، والتي هي ميراث ثقيل تراكم في عهود ثلاثة خلفاء سبقوه، حيث

أسهمت في تبلور سياسته الدينية تجاه الطوائف والمذاهب الأخرى كما سيتضح لاحقا إن شاء الله.

لقد وصل الخليفة المتوكل إلى سدة الخلافة بدعم وتأييد من قبل العسكر، الذين تمكنوا لأول مرة_ في التاريخ العباسي _ من جعل أمر اختيار الخليفة بأيديهم، وهو بحد ذاته أمرا خارج عن تقاليد البلاط العباسي، فكانت هذه ثاني المشاكل التي واجهته وجعلته يبحث عن العامة في محاولة التخلص من نفوذهم، والتقرب إلى العامة لا بد له من ثمن فكان الثمن هو إرضاؤهم دينيا.

ومن المشكلات التي واجهت الخليفة المتوكل شكوكه المتزايدة في العلويين في الجزيرة العربية، مما أدى إلى محاولة الخليفة القضاء على هذه الحركات بكل الوسائل والإجراءات.

والحقيقة أن الخليفة المتوكل وجد نفسه محاطا برجال الإدارة ممن يؤمنون بمذهب الاعتزال ويتبنون أفكاره وفي مقدمتهم الوزير محمد بن عبد الملك الزيات(٢٤). الذي كانت علاقته مع المتوكل سيئة منذ عهد الواثق، وعمر بن الفرج الذي تعرض للحبس ومصادرة الأموال (٢٥) إضافة إلى احمد بن أبي دؤاد(٢٦). إن التخلص من هؤلاء وغيرهم من رجالات المعتزلة كان مطلبا جماهيريا وثمنا لإرضاء عامة الناس في بغداد وغيرها.

كما شهدت الدولة العباسية في عهده اضطرابات عديدة منها خروج ابن البعيث(٢٧) في أذربيجان سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م(٢٨) وثورة أهل أرمينيا ضد الوالي العباسي سنة ٢٣٧هـ/٨٥١ م وتمرد أهل حمص سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م(٢٩).

إضافة إلى تعرض مصر إلى غارات وهجمات عنيفة قامت بها قبائل البجة الحبشية(٣٠). وقد كان لانشغال الخليفة المتوكل على الله بترتيب الأوضاع الداخلية سببا في قيام حركات انفصالية في الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة العباسية، فقام الصفاريون(٣١) بانتزاع سجستان من أملاك الخلافة العباسية وتكوين دولة لهم فيها(٣٢).

أما خارجيا فقد تعرضت الدولة العباسية في عهد المتوكل على الله إلى هجمات بيزنطية سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م فنهب البيزنطيون الثغور والقرى، وسبوا النساء، وخربوا

الثغور والقرى[٣٣] فغضب العامة من تعديات النصارى البيزنطيين على حرمات النساء المسلمات، وقد يكون ذلك سببا في حدوث ردة فعل دينية تمثلت في اضطهاد نصارى الدولة العباسية.

إن أبرز مشكلة واجهتها الدولة العباسية في القرن الأول من تأسيسها، كانت تحركات العلويين أبناء عمومة بني العباس الذين شعروا بالإحباط نتيجة استئثار العباسيين بالخلافة دونهم، وهو أمر من وجهة نظرهم يتناقض مع المواثيق التي جمعت الطرفين في إطار الدعوة العباسية للرضا من آل محمد[٣٤]، وقد حاول أبو العباس السفاح (١٣٢- ١٣٦هـ/٧٤٩- ٧٥٤م) أن يخلق جوا من الوفاق الودي الهاشمي بين الفرع العباسي والعلوي لكنه لم ينجح،وفي عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ/٧٥٤- ٧٧٥م) كان ينظر إلى العلويين نظرة الشك والامتعاض، وتمكن من قمع ثورتين قام بها العلويون الأولى بقيادة محمد النفس الزكية في الحجاز١٤٥هـ/٧٦٢م[٣٥] والثانية تزعمها أخوه إبراهيم في البصرة[٣٦]، ولما جاء الخليفة المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/٧٧٥- ٧٨٥م) قام بإجراءات ودية للتخفيف من حماس العلويين والحد من ثوريتهم، فأحسن إليهم ورغبهم[٣٧]، ولكن سياسة السلم والمهادنة التي اتبعها المهدي مع العلويين لم تستمر طويلا، فقام الخليفة الهادي بالتشديد عليهم واستعمل معهم سياسة الشدة والعنف وقمع الثورة التي قادها الحسين بن علي بن الحسن سنة١٦٩هـ/٧٨٥م في موقعة فخ قرب مكة بشدة وقسوة[٣٨]، ثم حاول هارون الرشيد أن يستميل العلويين بعد ما تعرضوا للعنف في عهد الهادي، ولكنهم لم يتناسوا ما يعتقدونه بأحقيتهم بالخلافة، فخرج في عهد الرشيد إدريس بن عبد الله بن الحسن الذي استقر في المغرب وأخوه يحيى في الديلم[٣٩]، وكذلك قبض الرشيد على موسى الكاظم بن جعفر الصادق وسجنه[٤٠].

أما المأمون فقد كان أول حياته يميل إلى العلويين، فلبس الأخضر شعار العلويين وصاهر علي الرضا ابن موسى بن جعفر الصادق وولاه عهده[٤١]، ولكن هذا الود لم يدم طويلا فبعد وفاة علي الرضا قام العلويون بعدة حركات مناهضة في العراق

والحجاز واليمن ومن اخطر ثوراتهم تلك التي قادها أبو السرايا[٤٢]، إضافة إلى حركة محمد بن جعفر الصادق في الحجاز[٤٣].

لم يكن الخليفة المعتصم اقل شدة في سياسته تجاه العلويين من الخلفاء الذين سبقوه باستثناء المأمون، وذلك بسبب الثورات التي قام بها العلويون في عهده، ومن أبرز هذه الثورات تلك التي قادها محمد بن قاسم بن علي الزيدي سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م في خراسان[٤٤]، فقبض عليه وسجنه حتى مات في السجن[٤٥]، أما في عهد الواثق بالله فقد خفت نجم العلويين ولم يقوموا بأي - حركة.

إن ما تقدم يفيد بأن الخلفاء العباسيين منذ تأسيس دولتهم حاولوا استمالة أبناء عمومتهم من آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولتحقيق هذه الغاية فقد بذلوا كل ما في وسعهم من أجل استيعاب العناصر العلوية المعارضة والتي تظهر استعدادا للاعتراف بشرعية وسيادة الخلافة العباسية، غير أنهم في ذات الوقت قد ضربوا تلك العناصر المعارضة من العلويين الذين لا يظهرون تجاوبا مع الأسلوب الأول[٤٦]، وقد قرر العباسيون - منذ قيام دولتهم سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م - ان تبقى الخلافة في أيديهم حتى يسلموها لعيسى بن مريم عليه السلام، وظلت سياستهم تجاه أبناء العمومة من آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه تؤكد على المهادنة ففيها وعد ووعيد وفيها ترهيب وترغيب.

سياسة الخليفة المتوكل تجاه العلويين:

كان الخليفة المتوكل على الله يكره تصرفات العلويين السياسية لعدم اعترافهم بشرعية الخلافة العباسية.

وقد كانت حاجة الخليفة المتوكل إلى الدعم المعنوي من الناس عامة والفقهاء والعلماء خاصة جعلته يتخذ سياسة التضييق على فئة العلويين، وقد اتخذ أساليب محددة في إطار معاملته لهم يمكن إجمالها بما يلي:

١. الحد من نفوذ العلويين من خلال إلقاء القبض على رؤوسهم وزعمائهم، من الذين يملكون مؤهلات ترشحهم لقيادة ثورات أو تزعم حركات في المستقبل مثل علي

الهادي (ت٢٥٤هـ/٨٦٨م)(٤٧) الذي كان يقيم في المدينة المنورة وقد ارتفعت مكانته وصار الناس ينادونه إماما(٤٨)، فأحضره المتوكل منها إلى سامراء التي كانت تعرف بالعسكر فعرف بالعسكري وفرض عليه الإقامة فيها قرابة عشرين سنة وأحسن إليه وعامله معاملة طيبة وسدد ديونه وأكرمه(٤٩).

٢. هدم البناء المقام على قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما، ففي سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م(٥٠)، وقد كان هذا الإجراء الذي قام به الخليفة بتأثير من حاشيته الذين كانوا يخوفونه من العلويين ويحرضونه عليهم(٥١) مثل علي بن الجهم وأبو السمط(٥٢).

٣. أمر المتوكل بهدم جميع المباني المحيطة للقبر المذكور، وأمر أن يبذر ويسقى موضع تلك المباني وأن يعمل مزارع(٥٣)، ويبدو أن الخليفة أراد من هذا الإجراء تحويل المكان لمزارع، حتى لا يصبح مزاراً.

٤. اتخذ إجراءات صارمة، لمنع الشيعة من زيارة القبور، فقد أعلن الخليفة المتوكل على الله، أنه من وجد زائرا لقبر الحسين رضي الله عنه، فإنه سوف يحبس، فهرب الناس وتركوا زيارة هذا القبر(٥٤).

٥. قام ببعض الإجراءات الدعائية لترهيب بعض العامة من المتشيعين، حيث أمر سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م بضرب شخصا في بغداد(٥٥) بسبب شتمه لأبي بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم جميعا، فجلده بالسياط حتى مات تحت الجلد، فأمر الخليفة بأن تلقى جثته في نهر دجلة(٥٦).

٦. تشجيعه للأدباء والشعراء بتبني الكتابة المعادية للعلويين، وكان هذا الاتجاه موجها بصورة مباشرة لإضعاف نفوذ العلويين بين الناس، فأصبح الأدباء أداة في يد المتوكل لضرب خصومه السياسيين من العلويين(٥٧)، حاول المتوكل أن يروج بين العامة فكرة مفادها، انه شديد البغض والانحراف عن العلويين، فوصفته المصادر بذلك(٥٨).

بيد أنه ينبغي أن يطرح التساؤل هنا عن سبب هذه السياسة التي تبناها الخليفة المتوكل تجاه الشيعة العلويين؟ إن ذلك يرجع إلى مجموعة من العوامل:

أ. أراد المتوكل إرضاء الفقهاء والمحدثين والعامة والتقرب منهم من خلال إلغاء وقمع أي مذهب، لا يتماشى مع مذهب أهل السنة والجماعة ولذلك ضيق على العلويين، ونكب المعتزلة كما سيتضح تاليا إن شاء الله.

ب. استوعب الخليفة المتوكل المتاعب السياسية التي سببها العلويون للدولة العباسية في قرنها الأول من خلال ما قاموا به من ثورات وحركات.

ج. شكوكه المتزايدة في فعاليات الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية،وهو الإمام علي الهادي،الذي صار الناس في الحجاز ينادونه إماما.

د. أحاط الخليفة المتوكل على الله نفسه بحاشية ممن عرفوا بكرههم للشيعة العلويين، مثل علي بن الجهم، وعمر بن فرج الرخجي وأبو السمط وغيرهم، فكان هؤلاء يوغرون صدر الخليفة على الشيعة، وهذا ما أكده ابن الطقطقا[٥٩]،الذي ذكر أن الخليفة أحاط نفسه بجماعة عرفوا بأنهم كانوا منحرفين عن البيت العلوي.

هـ. إن موقف الخليفة المعادي لجميع المذاهب كالشيعة والمعتزلة، يرجع إلى بحث الخليفة عن كسب تأييد الفقهاء والمحدثين، ومن ورائهم العامة، في مواجهة العسكر الأتراك الذين أصبحوا يشكلون خطرا على مؤسسة الخلافة، وكان وصول الخليفة المتوكل إلى السلطة على أيديهم بداية الخطر.

سياسة المتوكل الدينية تجاه المعتزلة:

ظهرت المعتزلة في مطلع القرن الثاني الهجري[٦٠]، بسبب خلاف تزعمه واصل بن عطاء حول مرتكب الكبيرة[٦١]،هل هو مؤمن أم كافر؟ فقد ذهب الخوارج إلى أن صاحب الكبيرة كافر وذهبت المرجئة إلى أنه مؤمن، ورأى الحسن البصري[٦٢] إلى أنه ليس مؤمناً ولا كافراً وإنما يكون منافقاً، أما واصل بن عطاء فقد ذهب إلى اعتبار صاحب الكبيرة فاسقاً[٦٣]. وقد علل المسعودي التسمية (الاعتزال) بالقول: "أي باعتزال

صاحب الكبيرة عن المؤمنين والكافرين جميعاً"(٦٤)، وقد اعتبر الشهرستاني أن واصل بن عطاء هو مؤسس هذه الفرقة عندما دخل رجل على الحسن البصري، فقال: "يا إمام الدين لقد ظهر في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسُمّي وأصحابه معتزلة"(٦٥).وللمعتزلة تعاليم دينية فكرية تعرف باسم الأصول الخمسة وهي: التوحيد، العدل، الوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين وأخيراً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٦٦). وهذه الأصول هي التي جعلت المعتزلة يضطهدون مخالفيهم ويقسون عليهم لاعتقادهم أنهم بمخالفتهم قد أتوا منكراً(٦٧)،وهو الذي جعل للمعتزلة سلطاناً على الناس يوم أتيح لهم(٦٨).

وفي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م أظهر المأمون القول بخلق القرآن، وتفضيل علي بن أبي طالب على الصحابة رضي الله عنهم، وانه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم(٦٩)،وعبر المسعودي عن موقف العامة بالقول: "فعظم الناس ذلك وأكبروه، واضطربت الأمة فاشمأزت النفوس منه، وكاد البلد يفتتن"(٧٠).

مما أدى إلى تأخير الخليفة لتطبيق الاعتزال، إضافة إلى انشغال المأمون في الحرب مع الدولة البيزنطية والمشاكل الداخلية في مصر والشام(٧١).وفي سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م عاد إلى تطبيق فكر المعتزلة على العامة، يذكر الطبري "انه كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم (٧٢)في امتحان القضاة والمحدثين... وكان ذلك أول كتاب كُتب في ذلك"(٧٣). وكانت رسالة المأمون إلى والي بغداد إسحاق بن إبراهيم طويلة(٧٤) تضمنت توضيح وتبرير رغبته في امتحان المحدثين والقضاة وبيان دور الإمام في ترسيخ المعتقدات الدينية واصفاً عامة الناس بالجهل في الأمور الشرعية وعدم مقدرتهم على فهم التوحيد، كما أنهم يخفقون في التمييز بين الخالق والمخلوق، وانتهى بأن طلب إلى الوالي أن يجمع ما لديه من القضاة ويقرأ عليهم كتابه ويمتحنهم فيما يقولون، فمن لم يقل بخلق القرآن

يعزل من وظيفته(٧٥). كما أرسل المأمون رسالة أخرى إلى الوالي إسحاق بن إبراهيم يأمره بامتحان العلماء والمحدثين، فأجابوا إلا أربعة علماء هم "أحمد بن حنبل، وسجاده، والقواريري(٧٦)، ومحمد بن نوح المضروب، فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشدوا في الحديد فلما كان من الغد دعا بهم جميعاً يساقون في الحديد فأعاد عليهم المحنة فأجابه سَجَّاده إلى أن القرآن مخلوق فأمر بإطلاق قيده. وأصر الآخرون على قولهم... ثم أجاب القواريري إلى أن القرآن مخلوق فأمر بإطلاق قيده، وأصر الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما"(٧٧).

وقد أمر باستخدام القسوة والشدة في فرض هذه الفكرة، فحمل الناس على القول بخلق القرآن وكل من لم يقل بخلق القرآن عاقبه أشد عقوبة (٧٨)، ومن العلماء الذين عانوا في عهده، الحارث بن مسكين قاضي مصر فقد رفض القول بخلق القرآن وسُجن، فبقي مسجوناً حتى أطلقه المتوكل(٧٩). وممن امتحنوا في خلق القرآن القضاة والمحدثون والعلماء، وأصبح هذا الامتحان الديني أداة سياسية في يد الخلافة العباسية استخدمتها في جميع الولايات لإظهار من يدينون بالطاعة والولاء للخليفة العباسي(٨٠). وقد سميت مسألة خلق القرآن بالمحنة(٨١)،أطلق هذا اللفظ للتدليل على الاضطهاد الذي لقيه الناس والعلماء في أواخر عهد المأمون سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م واستمر طيلة عهد المعتصم والواثق إلى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م(٨٢).

وقد كان الدافع وراء فعل المأمون في امتحان الناس أنه كان يرى أن الواجب يحتم عليه تصحيح عقائد الناس الفاسدة كالإشراك مع الله في القدم شيئاً آخر، مثل القرآن الكريم(٨٣)، لأن الشيء إذا كان غير مخلوق أصبح قديماً أزلياً، والقدم والأزلية من صفات اللّه وحده(٨٤).

بعد وفاة الخليفة المأمون سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م وجد المعتصم نفسه أمام وصية أخيه الذي فرض عليه الاستمساك بدعوته في مسألة خلق القرآن.

وكما اعتبر المأمون أخاه خليفته في تولي شؤون الحكم، فقد اعتبر ابن أبي دؤاد خليفته في الدعوة إلى القول بخلق القرآن(٨٥)، وعلى الرغم من أن الخليفة المعتصم كان

أمياً لا يقرأ ولا يكتب كما ذكر الطبري[٨٦]، إلا أنه دعم فكرة المعتزلة بحماسة تقليداً لأخيه المأمون[٨٧]،فكتب إلى الولايات يطلب الاستمرار في امتحان الناس بخلق القرآن وأمر الولاة أن يعلموا الصبيان ذلك وقاسى الناس معه مشقة كبيرة[٨٨]، وأصبح كل عالم أو قاضٍ معرضاً للضرب بالسياط والتعذيب إذا لم يأخذ برأي المعتزلة بالقرآن[٨٩]، كما حدث مع نعيم بن حماد[٩٠] الذي أُحضر من مصر للامتحان وسُئل عن خلق القرآن فامتنع فحُبس[٩١].

إن أهم وقائع المحنة في عهد المعتصم بالله هي محنة الإمام أحمد بن حنبل[٩٢]، الذي عانى منذ أن أمر المأمون بجلبه مقيداً لامتناعه عن القول بخلق القرآن وأودع بالسجن[٩٣]، وكان يتسلل إليه القوم ويطلبون منه أن يقول بخلق القرآن تقية كما قال غيره من العلماء فيأبى ذلك[٩٤].

طلب المعتصم الإمام أحمد فأحضر له من السجن، وعقد له مجلساً للمناظرة استمر ثلاثة أيام كان يناظره القاضي أحمد بن أبي دؤاد وغيره، وقد وصف الدميري ذلك بالقول: "ولم يزل معهم في جدال إلى اليوم الرابع فأمر بضربه، فضرب بالسياط ولم يزل عن الصراط إلى أن أُغمي عليه ونخسه عجيف بالسيف ورمى عليه حصيرة ودِيسَ عليه ثم حمل فصار إلى منزله وكانت مدة مكوثه في السجن ثمانية وعشرين شهراً"[٩٥] عانى فيها أشد الأهوال من جلد بالسياط وحبس مظلم وغير ذلك[٩٦].

ويبدو أن الخليفة المعتصم قد أعجب بثبات الإمام أحمد وصلابته، حيث أشفق عليه وكان يخلو به ويقول له "ويحك يا أحمد أنا والله شفيق عليك وإني لأشفق عليك مثل شفقتي على ابني هارون يعني الواثق فأجبني فوالله لئن أجبتني لأطلقن غلك بيدي ولأطان عتبتك ولأركبن إليك بجندي. فيقول: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإذا طال المجلس به ضجر وقام ورد أحمد في الموضع الذي كان فيه وتردد إليه رسل المعتصم يقولون: يا أحمد أمير المؤمنين يقول لك ما تقول في القرآن؟ فيرد كما رد أولاً"[٩٧]؛ بقي في سجنه وقد ذكر ابن العماد الحنبلي ما يفيد بان الخليفة ندم على ضرب الإمام أحمد – رحمه الله تعالى- [٩٨].

كما عانى علماء آخرين في مصر لرفضهم القول بخلق القرآن[٩٩]، ولم يكن تشدد الخليفة المعتصم في فرض مذهب الاعتزال نابع من قناعة وفكر[١٠٠].

خلف الواثق بالله أباه المعتصم بالله بالحكم، وقد كان على درجة عالية من العلم والمعرفة حتى وُصف بالمأمون الأصغر لغزارة معرفته وعلمه وأدبه وفضله[١٠١]، وقد اقتدى الواثق بكل من عمه المأمون والمعتصم في مسألة خلق القرآن، من خلال استخدام المنابر والمساجد، حيث أمر الخليفة الواثق بالله بأن يُكتب على باب البيت الحرام في مكة، وعلى أبواب المساجد عبارة (القرآن مخلوق)[١٠٢]. لتعميم فكرة خلق القرآن على كافة المسلمين الذين يأتون البيت الحرام للحج والعمرة. وأمر الولاة بامتحان الناس في الاعتزال، يذكر اليعقوبي "وكتب إلى القضاة أن يفعلوا ذلك في سائر البلدان وأن لا يجيزوا إلا شهادة من قال بالتوحيد –خلق القرآن- فحبس بهذا السبب عدداً كبيراً "[١٠٣]. وعين موظفي الدولة ممن يؤمنون بمذهب الاعتزال وخاصة القضاة[١٠٤]، مثل الحسن بن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري مولى أم سلمة المخزومية على قضاء مدينة بغداد [١٠٥]. كما امتحن موظفي الدولة كالأئمة والمؤذنين، فقد بعث الخليفة الواثق بالله بكتاب إلى والي البصرة في سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م يأمره فيه بامتحان أئمة المساجد والمؤذنين في مسالة خلق القرآن[١٠٦]. وحاول فرض هذا المذهب على العامة بالامتحان والمناظرة لحملهم على قبول هذا المذهب[١٠٧]. وفي سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م أمر بامتحان عمال الثغور فقالوا جميعاً بأن القرآن مخلوق فأعطاهم الخليفة الجوائز وأبقاهم في مناصبهم[١٠٨].

وأمر الخليفة بامتحان العلماء[١٠٩] بمشورة قاضيه أحمد بن أبي دؤاد[١١٠]؛ مثل أبو يعقوب يوسف البويطي الذي حُمل من مصر إلى العراق للامتحان، فامتنع عن القول بخلق القرآن فسجن حتى مات بسجنه[١١١]، وأمر الواثق بالله أثناء تبادل الأسرى مع الدولة البيزنطية سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م بامتحان الأسرى، فمن أجاب بأن القرآن مخلوق أطلق سراحه وأعطي جائزة مالية[١١٢]، حيث أمر الخليفة بإعطاء من يقول بخلق القرآن ديناراً [١١٣] ومن رفض ذلك بقى في الأسر[١١٤].

ولعل في ذلك العمل تجاه الأسرى صورة من صور التعصب المذهبي الذي لا مبرر له، وربما أن كثيراً من الأسرى أجابوا بخلق القرآن لغاية إطلاق سراحهم.وقد جمع الواثق بالله حوله الكثير من العلماء الذين وافقوه على مذهبه القائل بخلق القرآن ،كما أقدم على تعذيب وقتل العلماء الذين خالفوه الرأي.

يرى البعض أن الهدف من وراء تبني مذهب الاعتزال في عهد المأمون والمعتصم والواثق كان إضعاف فئة الفقهاء والعلماء(١١٥)، الذين كان لهم تأثير عميق على العامة والذين أصبح لهم شعبية تشكل قوة دينية وسياسية تنافس قوة الخلفاء(١١٦). كما أن منهج المعتزلة لم يناسب إلا الخاصة ولذلك لم يعتنق الاعتزال إلا المثقفين، أما العوام فكانوا يكرهون هذا المذهب، ولذلك عارضوه(١١٧)، وكرهوا خلفاء المعتزلة وفسدت قلوب عامة الناس عليهم(١١٨). وهذا كلام دقيق ذلك أن الدولة العباسية في هذه الآونة كانت تريد أن تفرض على الناس مبادئ عقائدية محددة في إطار الاعتزال كما حاول الخلفاء إضعاف العلماء والمحدثين وإظهار أنفسهم على أنهم هم الحكم النهائي لأمور الدين.

إن الإجراءات التي اتبعها الخلفاء العباسيون لفرض أفكارهم(١١٩)، قد أغضبت الناس عليهم؛ لأنها أشغلتهم بالمحنة فكرهوهم(١٢٠)، وقد أشار ابن العبري إلى أنهم أنزلوا بمن خالفهم في الاعتزال عذاباً فادحاً(١٢١).

وقد عارض كثير من العلماء مذهب المعتزلة وعانوا في ذلك معاناة كبيرة، حتى أن بعضهم عُذب وسُجن ووصل الحد ببعضهم إلى دفع حياته ثمناً لمعارضته لفكر المعتزلة، ويمكن ذكر أبرز هؤلاء العلماء: الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أبو عبد الله بن هلال بن أسد بن إدريس بن شيبان، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م، وهو إمام المحدثين في عصره، صنف مسنده الذي جمع فيه الحديث(١٢٢)، دُعي الإمام أحمد إلى القول بخلق القرآن في عهد المأمون، ولكنه رفض وحبس وظل في السجن دون أن يثنيه عن رأيه وظل على معارضته لرأي الدولة فيما يخص القرآن، وفي عهد الخليفة المعتصم طلبه إلى مجلسه كما مرَّ سابقاً وأحضر له الفقهاء فناظروه، فلم يجب فضرب وحبس سنة

٢٢٠هـ/٨٣٥م، وبقي في الحبس إلى أن مات الخليفة المعتصم[١٢٣]، فلما ولي الخليفة الواثق بالله منعه من الخروج من داره إلى أن أخرجه المتوكل وخلع عليه[١٢٤]، وفي أثناء اشتداد المحنة أيام الخليفة الواثق بالله جاءه بعض الفقهاء واستشاروه في الثورة والخروج على الخليفة، فرفض الإمام أحمد ذلك، ونصحهم بالإنكار، وإلا يعرضوا أنفسهم إلى الهزيمة والقتل ونصحهم بالصبر[١٢٥]. ولم يتشدد الواثق في اضطهاد أحمد بن حنبل، ويعود ذلك كما يبدو لأسباب أولها: أن الواثق كان عارفاً أنه بالرغم من تعذيب الإمام أحمد واضطهاده إلا أنه لن يغير وجهة نظره وموقفه من خلق القرآن، ثانيها: أن الخليفة خشي من ردة فعل العامة المتعاطفين مع الإمام أحمد لو استمر في تعذيبه [١٢٦]. ومن العلماء الذين قاوموا الاعتزال أبو يعقوب يوسف البويطي[١٢٧]، صاحب وتلميذ الإمام الشافعي[١٢٨]، الذي ينسب إلى قرية بويط في صعيد مصر، وقد قام البويطي مكان الشافعي بمصر بعد وفاته في الدرس والإفتاء[١٢٩]، ولما كانت المحنة في خلق القرآن حُمل الإمام البويطي على بغلة من مصر مقيداً فلما وصل إلى العراق طلبوا منه القول بخلق القرآن فامتنع عن ذلك ولم يجب فبقي في السجن، وكان وهو مسجون إذا سمع المؤذن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن فيقول له السجان أين تريد فيقول أجيب داعي الله فيقول: ارجع عفاك الله فيقول: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني[١٣٠]. و نعيم بن حماد الخزاعي الحافظ وهو من العلماء الذين امتحنوا بخلق القرآن، فلم يجب فحبس وقيد ومات في الحبس سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣ رحمه الله تعالى[١٣١]. وبكار بن الحسن ابن عثمان بن زياد بن عبد الله العنبري، وهو من الفقهاء الذين امتحنوا في أيام الواثق بالله، ولكنه لم يجب بأن القرآن مخلوق فأوذي وسجن[١٣٢]، وكان يقول "عيون الناس ممدودة إليَّ فإن أجبت أخشى أن يجيبوا ويكفروا" وقد تجهز للثورة على الخليفة الواثق فلما تهيأ لها جاءه خبر وفاة الخليفة، وقد توفي سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م رحمه الله[١٣٣]، وعفان بن مسلم بن عبد الله البصري، الذي سكن بغداد ورفض القول بخلق القرآن زمن الخليفة الواثق بالله[١٣٤]، وبشر المريسي[١٣٥]، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأذرمي، امتحن ولم يجب[١٣٦]،

وتناظر مع القاضي ابن أبي دؤاد بحضور الخليفة الواثق، وانتصر عليه، والحارث بن مسكين، وهو فقيه ومحدث ولد سنة ١٥٤هـ/٧٦٦م عاش في مصر، ورفض القول بخلق القرآن فحمل إلى العراق في عهد المأمون وسجن، فبقي في السجن حتى أطلقه المتوكل وأكرمه وأعاده إلى مصر وعينه قاضياً عليها، توفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٠م[١٣٧]، وإبراهيم بن هاني أبو إسحاق النيسابوري: كان ورعاً صالحاً صبوراً، رفض مذهب الاعتزال، وقد مدحه الإمام أحمد بن حنبل وقال عنه "إن كان في البلد رجل من الإبدال فأبو إسحاق النيسابوري"[١٣٨]، وحنبل بن أحمد بن حنبل:رفض فكر المعتزلة وكان يقول "القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل"[١٣٩].

أما العامة فلم يستجيبوا لسياسة الخلفاء (المأمون والمعتصم والواثق) في فرض الاعتزال عليهم وكرهوهم، وكرهوا هذا الفكر، يشير المسعودي لذلك بالقول: "شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد عليه قلوبهم وأوجدهم السبيل في الطعن عليه"[١٤٠]، وذلك بمشورة ودعم من الحاشية والمقربين، من المعتزلة أصحاب النفوذ والسلطان، ومن أشهرهم أحمد بن أبي دؤاد القاضي[١٤١]، والوزير محمد بن عبد الملك الزيات[١٤٢].

لقد كانت سياسة التشدد في فرض هذا المذهب وما رافقها من كبت وعنف سبباً في ظهور ردة فعل عنيفة في بغداد، أدت إلى القيام بثورتين:

الاولى حدثت في سنة ٢٢٧هـ/٨٩٠م فقد ثار جماعة من عامة الناس في بغداد على أبي صالح شعيب بن سهل الرازي إمام مسجد الرصافة؛ الذي كان يتبنى مذهب الاعتزال ويمتحن الناس في خلق القرآن؛ فقاموا بإحراق داره ونهبوا منزله وحاولوا قتله لكنه هرب منهم[١٤٣]، وتحرك أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، الذي كان جده مالك من نقباء الدعوة العباسية[١٤٤]، وقد تناولت كثير من المصادر قصة قتله، حيث اعتبرته شهيد زمانه، ووصفوه بأنه كان من أهل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١٤٥]، ونعته آخر بأنه كان إماماً قوالاً للحق[١٤٦]، وقد أسهبت

المصادر في الحديث عنه وعن الحركة التي قام بها في بغداد(١٤٧). فوصفه الذهبي: بالإمام الكبير الشهيد وقال عنه "كان أمَّاراً بالمعروف قوَّالاً للحق"(١٤٨). وقال عنه ألسبكي: "الإمام أحمد بن نصر ذو الجنان واللسان والثبات وإن اضطرب المهند واللسان والوثبات شيخاً جليلاً قوالاً بالحق أماراً بالمعروف نهاءً عن المنكر"(١٤٩).

أما تفاصيل هذه الثورة فقد وردت مفصلة عند الخطيب البغدادي في سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م (١٥٠)، وانتهت بالقبض على أحمد بن نصر، فحمل من بغداد إلى الخليفة في سامراء، وبعد مناظرة طويلة قتله الخليفة الواثق بالصمصامة(١٥١)، ونعته بالكافر و ضرب عنقه وأمر بحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي. وأمر أن تعلق ورقة في أذنه مكتوب عليها: "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة فجعله الله إلى ناره"(١٥٢)، وكان مقتل أحمد بن نصر يوم السبت في شهر رمضان سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م، حيث صلب جسمه في سامراء وبعثت رأسه، ونُصبت في بغداد ولم يزل منصوباً ست سنين حيث أمر الخليفة المتوكل بالجمع بين رأسه وجسده، ودفن في الجانب الشرقي من بغداد(١٥٣)، وبعد قتله أمر الواثق بتتبع أنصاره فسجن منهم حوالي خمسين رجلاً حيث قُيِّدوا بالحديد ومنع ذووهم من زيارتهم(١٥٤)، ولقد كان مقتل أحمد دلالة واضحة على قوة وتصميم الفقهاء على مقاومة فكر الاعتزال حتى ضحى بعضهم بنفسه (١٥٥).

إجراءات الخليفة المتوكل ضد المعتزلة:

وفي إطار مناهضة المتوكل على الله لمذهب المعتزلة أحيا مذهب أهل السنة والجماعة(١٥٦) أصدر سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م مرسوماً أعلن فيه انتهاء المحنة(١٥٧) وفرض حظرا على المناقشة بشأن طبيعة القرآن الكريم من حيث كونه مخلوقا أو غير مخلوق، قال المسعودي "لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك لما عليه الناس في أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة"(١٥٨) وبذلك أكد المتوكل على مذهب

السنة والجماعة كمذهب رسمي للدولة، وتبرأ مما كان عليه أسلافه، وكتب: "إن الذمة قد برئت ممن يقول بخلق القرآن"[(١٥٩)] بل وأمر بحبس كل من يقول في علم الكلام[(١٦٠)]، كما أمر المحدثين بمهاجمة الجهمية والمعتزلة وأمرهم بإحياء شعائر عديدة كانت معروفة منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وحثهم على دراسة الحديث النبوي الشريف في سبيل إنعاش مذهب السنة والجماعة. وعلاوة على ما سبق اتخذ مجموعة من التدابير تمثلت في الآتي:

١. إطلاق سراح المساجين من الذين رفضوا مذهب الاعتزال وأكرمهم وخلع عليهم الكسوة[(١٦١)] فقد أمر سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م بتنظيف سجن أخيه الواثق ممن حبسهم في خلق القرآن في كافة الأمصار.
٢. أمر بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي الذي كان الواثق قد فصل رأسه عن جسده فصلب الرأس في بغداد والجسد في سامراء، فأمر المتوكل بأن يجمع الرأس والجسد فدفن يوم عيد الفطر سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م[(١٦٢)] وقد تجلت سياسة المتوكل المعادية للاعتزال في التشييع الرسمي الذي أمر به لأحمد بن نصر الخزاعي، حيث أحيا ذكراه بعد ست سنوات من مقتله وأمر بدفنه في احتفال مهيب.
٣. استدعى الإمام أحمد بن حنبل من بغداد إلى سامراء مقر الخليفة وقربه إليه وأكرمه، ولكن الإمام أحمد استأذن الخليفة المتوكل بالرجوع إلى بغداد وآثر الابتعاد عن السلطان[(١٦٣)] رافضا هدايا الخليفة الذي خلع عليه من ملابسه الخاصة، ورفض أن يأكل من طعام السلطان عندما دعاه المتوكل إلى مائدته[(١٦٤)] وأرسل إليه الخليفة طبيبه الخاص يوحنا بن ماسويه [(١٦٥)]. وقد أصبح لأحمد بن حنبل رحمه الله مكانه كبيرة عند الخليفة،وكان ذلك انتصاراً المحدثين الذين يمثلون أهل السنة والجماعة، ومن الجدير ذكره أن ذلك النصر قد كافح الفقهاء والمحدثون وعلى رأسهم أحمد بن حنبل وأحمد بن نصر الخزاعي من أجله كثيرا، وبذلوا في سبيله المهج والأرواح. ويمكن القول أن مذهب أهل السنة والجماعة الذي أظهره الخليفة

أبو جعفر المنصور لم يكن واضح المعالم في بداية العصر العباسي على اعتبار أن التمسك بالسنة النبوية ضرورة من ضرورات الشرع وبالتالي كان الخلفاء الأوائل فوق الميول المذهبية ونظروا إلى الخارجين عن هذا الخط على أنهم جماعات مناوئة لها مطالب لا تخرج عن الإطار السياسي ولكن عندما أصبح الخلفاء يدعون امتلاك السلطة الدينية اظهر العلماء عدم قبولهم لذلك بسبب أنهم هم الذين يملكون الثقافة الدينية الواسعة والعميقة في أمور العقيدة مما مكنهم من تفسير واستنباط الأحكام من مصادرها الأصلية.بالإضافة إلى أن تشكل مذهب التشيع وتطور أفكار منظريه جعل الدولة تهتم بإحياء السنة النبوية الشريفة ودراسة العلماء للحديث النبوي الشريف.تعلق إحدى الدراسات الحديثة على موقف الإمام أحمد بن حنبل بالقول: أن الإمام أحمد كان يمثل روح العصر الذي يعيش فيه وأنه أثر في جماهير غفيرة من الناس نتيجة صلابته أثناء المحنة وتشبثه بعقيدته واتزانه وبعده عن السلطان رغم أن الخليفة المتوكل حاول أن يغرقه بالهدايا والجوائز وحين مات أحمد بن حنبل شيعته الدولة تشييعا رسميا[١٦٦]. إن رفض الإمام احمد الهدايا والهبات ورغبته في الابتعاد عن مقر الخليفة في سامراء يعني انه كان يريد أن يبقى حرا في آرائه الفقهية لان اقترابه من السلطة فيه تقييد لرأيه ويشكل خطورة على سمعته الدينية التي دافع عنها كثيرا.

٤. أمر الخليفة المتوكل بالاهتمام بالحديث النبوي ونشر السنة وأمر أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة[١٦٧].
٥. استقدم الشيوخ والمحدثين من كافة الأمصار إلى سامراء وأجزل لهم العطاء[١٦٨] وأمرهم بالتحديث والرد على الجهمية والمعتزلة وأن يحدثوا "بأحاديث الرؤية"[١٦٩] أي رؤية الله عز وجل يوم القيامة.
٦. قام الخليفة المتوكل بالتخلص من رموز المعتزلة مثل وزير أخيه الواثق، محمد بن عبد الملك الزيات[١٧٠] فأمر بالقبض عليه وحبسه مقيدا بخمسة عشر رطلا من الحديد[١٧١]، وأمر بتعذيبه بالتنور الذي كان ابن الزيات قد صنعه من الحديد ودق

فيه مسامير ليعذب فيه من كان في حبسه من المخالفين له في الاعتزال، فأدخله المتوكل فيه وأمر بتعذيبه حتى مات[١٧٢]. ولا بد من القول في هذا المقام أن العلاقة بين الخليفة المتوكل وابن الزيات كانت سيئة منذ عهد الخليفة الواثق، لان ابن الزيات كان يسيء معاملة المتوكل ويهتم بنقل أخباره إلى الواثق من قبل[١٧٣]. وقد كان موقف المتوكل من ابن الزيات خاليا من العفو عند المقدرة، وقد حث الإسلام على العفو والتسامح، والعفو هو شعار الصالحين وهو ثقيل على النفس لا يتم التغلب عليه إلا بمصارعة حب الانتصار والانتقام. وقد أمر الإسلام على التخلق بخلق العفو والتجاوز قال الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْو)[١٧٤]، وقال تعالى: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتقْوَى وَلاَ تَنسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)[١٧٥]. وقد أخرج الإمام أحمَد في مسنده قولَ النبيِّ: "من كظم غيظًا وهو قادرٌ على أن ينفِذَه دعاه الله على رؤوسِ الخلائق حتى يخيِّرَهُ من أيِّ الحور شاء"[١٧٦].

٧. أمر المتوكل بمراقبة رجالات المعتزلة والتضييق عليهم ومتابعتهم ومطاردتهم والقبض عليهم، وممن قبض عليه القاضي أحمد بن أبي دؤاد فحبسه مع أولاده وأمر بمصادرة أملاكه وضياعه، حتى مات سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م[١٧٧]، والقاضي أحمد كان هو المسئول المباشر عن محنة الإمام أحمد بن حنبل[١٧٨].
٨. استخدم وسائل الدعاية والإعلام المتاحة في ذلك العصر ضد رجالات المعتزلة في الأمصار، حيث أمر المتوكل والي مصر بان يحلق لحية قاضيها أبي بكر محمد بن أبي الليث، وأمر بجلده وبأن يطاف به على حمار وقد علل السيوطي ذلك بأن ابن أبي الليث كان ظالما وأنه "كان من رؤوس الجهمية"[١٧٩].
٩. أصدر المتوكل مرسوما وزعه في كل أنحاء الدولة العباسية يمنع فيه النقاش في موضوع خلق القرآن، وهدد من يتكلم في هذا الأمر بالسجن.

لقد تركت سياسة المتوكل الدينية في إنهاء مذهب المعتزلة وإظهار مذهب أهل السنة والجماعة اصداءً طيبة عند جمهور العلماء وعامة الناس ،حيث تشير بعض المصادر إلى ذلك بالقول:

"خلفاء الإسلام ثلاثة أبو بكر يوم الردة وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم والمتوكل على الله في إحياء السنة "[١٨٠]، وقد علق الإمام الذهبي على ما قام به المتوكل بالقول:

"رفع المحنة بخلق القرآن، واظهر السنة وأمر بنشر الآثار النبوية ولله الحمد"[١٨١] وكذلك امتدحه السيوطي وأثنى عليه وعلى ما قام به تجاه إحياء السنة[١٨٢]. ولكن المتوكل على الله بالغ أحيانا في معاملته القاسية مع خصومه كابن الزيات الذي مات تحت التعذيب، فمن القادة من إذا ظفر بخصومه عفا عنهم واستمال قلوبهم وقد ضرب لنا سيد الخلق الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم الأمثلة في العفو عند المقدرة فحينما ظفر بأهل مكة الذين حاربوه وطردوه وآذوه في السنة الثامنة للهجرة بعد الفتح عفا عنهم جميعا وأطلق سراحهم.

إن ابرز الأسباب التي أدت إلى سقوط مذهب الاعتزال تكمن فيما يلي:-

١- استعمال المعتزلة أساليب القسر والإجبار في فرض أفكارهم على عامة الناس[١٨٣].

٢- تكفير المعتزلة لمخالفيهم واتهامهم بالكفر والكذب، ووصفوا أهل الحديث بالجهل، حيث جاء على لسان ثمامة بن أشرس وهو من رجالات المعتزلة البارزين في عهد المأمون، اذ قال للخليفة: "ما العامة ؟ والله لو وجهت إنسانا على عاتقه سواد ومعه عصا لساق إليك عشرة آلاف منها"[١٨٤] وفي هذا تحقير للعامة واستخفاف بهم وتسفيه، وذلك يتناقض مع تعاليم المعتزلة التي تقول إنها تحترم عقل الإنسان وحريته.

٣- المبالغة في إقحام الفلسفة الإغريقية القديمة في الإسلام والإسراف في الاستدلالات العقلية، في محاولة إعادة صياغة العقيدة ضمن قالب دخيل لا يتطابق مع تعاليم الإسلام في موضوع الأسماء والصفات،مما جعل عامة الناس غير قادرين على فهمها وجعل فقهاء الإسلام يرفضونها[١٨٥].

و إن المدقق في وصف الروايات لجنازة أحمد بن نصر الخزاعي،بعد ست سنوات من مقتله عندما أمر المتوكل بالجمع بين رأسه وجثته رحمه الله، والتي خرج فيها خلق

كثير من أهل بغداد يدرك مدى الكره الذي كان يكنه العامة لمذهب الاعتزال. ولذلك جاءت إجراءات الخليفة المتوكل هذه تجاه المعتزلة بسبب معارضة عامة الناس لمنهج الاعتزال، الذي خلق الفتن والاضطرابات للدولة العباسية في عهود من سبقوه من الخلفاء.

فتوجه إلى مذهب العامة الذي عجز المأمون والمعتصم والواثق عن هزيمته، وبقي صلبا مقاوما، وبذلك أبعد المتوكل نفسه عن الإشكالات التي وقع فيها من سبقوه من الخلفاء، وبهذا وضع المتوكل نفسه في قلوب العامة وكان هذا الخيار هو الخيار الأفضل لرجل الدولة والسياسة، فبدلا من أن يضع نفسه في صفوف القلة من النخب المتفلسفة وجد انه من الأفضل لسلامة دولته أن ينحاز لصفوف العامة وهم الأغلبية، وقد علق الخطيب البغدادي على ما فعله المتوكل في هذا السياق بالقول "أطفأ نيران الفتنة وأوقد مصابيح السنة"[١٨٦].

سياسة المتوكل الدينية تجاه أهل الذمة:

أهل الذمة، أخذت "الذمة"من مصدرها ذم، بمعنى حقر، وتطلق على العهد، لأن الإنسان يذم إذا أضاعه[١٨٧].

وأهل الذمة هم أصحاب العهد كما قال تعالى "لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة"[١٨٨]، وعرف أهل الذمة في الاصطلاح بأنهم أهل الكتاب ومن في حكمهم، المقرون على دينهم، وعلى الإقامة في بلاد الإسلام، ويقبلون دفع الجزية[١٨٩]، وقد بين الإسلام كيفية معاملة هؤلاء بالاعتراف بهم وبحقهم بالبقاء على دينهم، قال تعالى "لا إكراه في الدين"[١٩٠] فقد وردت أحاديث عديدة عن الرسول صلى الله عليه وسلم تبين كيفية التعامل معهم، منها ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "من قتل معاهدا بغير جرم لم يرح رائحة الجنة"[١٩١]، وقوله صلى الله عليه وسلم "إلا من ظلم معاهدا، أو تنقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو اخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فانا حجيجه يوم القيامة"[١٩٢].

وعلى هذا الهدي سار الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فقد روي عن عمر بن الخطاب عندما رأى العمال يشددون على أهل الذمة القول: "دعوهم لا تكلفونهم ما لا يطيقون"(١٩٣)، وأوصى علي بن أبي طالب عماله بحسن معاملة أهل الذمة بالقول: "لا تضربن رجلا منهم سوطا في طلب درهم... إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو"(١٩٤).

وعلى هذا الأساس الشرعي عاش أهل الذمة بين المسلمين، وتمتعوا بكثير من ضروب التسامح الديني، فأقاموا شعائرهم الدينية وشاركوا المسلمين في وظائف الدولة، وفي ممارسة المهن الحرة منذ بزوغ فجر الإسلام، وقد عمل أهل الذمة من اليهود والنصارى بالأنشطة الاقتصادية المختلفة كالحرف، منها الصيرفة والصياغة ودباغة الجلود(١٩٥)، ومنهم من عمل بالتجارة(١٩٦) ومنهم من امتهن الطب(١٩٧) حتى أن طبيب الخليفة المتوكل نفسه كان نصرانيا اسمه يوحنا بن ماسويه الذي عالج أحمد بن حنبل، وكان لليهود في العصر العباسي رئيس يهتم بجمع الجزية منهم ويسلمها للدولة، ويهتم بأحوال طائفته الدينية يسمى رأس الجالوت، في حين سمي رئيس النصارى بـ "الجاثليق النسطوري"(١٩٨).

إن مصادر التاريخ العباسي لا يوجد فيها أي إشارة إلى مضايقة دينية منظمة قام بها خلفاء بني العباس تجاه أهل الذمة والتعدي عليهم إلا في حالات قليلة جاءت بسبب شكوى العامة من تسلطهم على رقاب العامة من المسلمين كما حدث في عهد المهدي والرشيد، بل على العكس من فأن كثيراً منهم قد عملوا بالدواوين، وكان كثير منهم قريبين من الخلفاء حين مارسوا مهنة الطب. واشتهر منهم كثير ممن عملوا بالترجمة في عهد المأمون(١٩٩).

لقد كانت حاجة الدولة العباسية إلى عمال حاذقين بالأعمال الإدارية من الذين امتازوا بالمهارة والكفاءة،هي التي دعتها إلى الاستعانة بأهل الذمة منذ قيامها، ويبدو أن بعض الخلفاء العباسيين كأبي جعفر المنصور تعامل مع أهل الذمة بنظرة يشوبها الحذر والشك فلم يسمح لهم بالسكن داخل مدينة بغداد خوفا من أن يقوموا بدور الجاسوسية للدولة البيزنطية، ولكنه في ذات الوقت منحهم اقطاعات خارج بغداد

عرفت باسم قطيعة النصارى(٢٠٠) وقد أصدر مرسوما شكليا يمنع فيه أهل الذمة من العمل في دواوين الدولة(٢٠١)، وفي عهد الخليفة هارون الرشيد عُزِل أهل الذمة من وظائفهم واستُبدِلوا بمسلمين(٢٠٢).

تشير المصادر التاريخية إلى أن العباسيين في عهد الخليفة الواثق بالله قد اهتموا بفداء أسرى الدولة العباسية من البيزنطيين بما فيهم الأسرى من أهل الذمة(٢٠٣).

ومن الواضح في هذا المقام أن علاقة أهل الذمة بالدولة قد تكون تأثرت في بعض الأحيان سلبا عندما كان يشتد الصراع على الجبهة البيزنطية، ولعل الباحث يلمح تعاطف أهل الذمة مع أبناء دينهم البيزنطيين ومن الممكن أن المسلمين نظروا إليهم في بعض الأحيان كجواسيس للعدو البيزنطي.

وقد قام النصارى في عهد الخليفة المتوكل في سنة ٢٣٧هـ/٨٥٢م بثورة في أرمينيا ضد الوالي العباسي يوسف بن محمد وقتلوه، وقد تزعم ثورة الأرمن رجل دين نصراني اسمه البطريق"بقراط بن أشوط"ومعه جموع من رجال الدين والبطارقة الأرمن(٢٠٤)، فأرسل المتوكل جيشا بقيادة بغا قتل منهم ثلاثين ألفا وتوغل في أراضي الأرمن حتى وصل تفليس (٢٠٥)، ويبدو ان هذا العدد مبالغ فيه ولكنه يشير الى النصر العظيم الذي حققه المسلمون في هذه المعركة.إضافة إلى حركة نصارى حمص سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م ضد الوالي العباسي(٢٠٦)، وفي سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م أغار الروم على الثغور الإسلامية فأسروا كل من بها من الرجال والنساء والذراري (٢٠٧).

وقد تعرض صعيد مصر إلى هجمات قام بها يهود ونصارى قبائل البجة الحبشية سنة ٢٤١هـ/٨٥٦م(٢٠٨)، وفي سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م أغار الروم على الثغور الإسلامية واسروا كثيرا من المسلمين(٢٠٩). فقام الخليفة المتوكل على الله بفك اسرى المسلمين في عملية تبادل اسرى عرفت بالمفاداة سنة ٢٤٦هـ/٨٦١م (٢١٠).

ويشير الطبري في أحداث هذه السنة إلى ارتداد عطارد عن الإسلام وعودته إلى النصرانية، فاستتيب ولكنه أبى الرجوع إلى الإسلام فضربت عنقه وأمر بإحراق جثته(٢١١). وقد قال جمهور الفقهاء بوجوب استتابة المرتد، قبل تنفيذ العقوبة فيه، بل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب "الصارم المسلول على شاتم الرسول": هو إجماع الصحابة رضي اللّه عنهم، وبعض الفقهاء حددوها بثلاثة أيام، وبعضهم بأقل، وبعضهم بأكثر، ومنهم من قال: يستتاب أبدًا، واستثنى بعضهم الزنديق؛ لأنه يظهر غير ما يبطن، فلا توبة له، وكذلك سابّ الرسول صلى اللّه عليه وسلم، لحرمة رسول اللّه وكرامته، فلا تقبل منه توبة، وألف ابن تيمية كتابه في ذلك. والمقصود بذلك إعطاؤه الفرصة ليراجع نفسه، عسى أن تزول عنه الشبهة، وتقوم عليه الحجة(٢١٢).

وقد قدم لنا الجاحظ وصفا دقيقا لأحوال أهل الذمة في عهد المتوكل كونه معاصرا له فقال "في النصارى متكلمين وأطباء ومنجمين وعندهم عقلاء وفلاسفة وحكماء، ومنهم كتاب السلاطين وفراشي الملوك وأطباء الأشراف والعطارين والصيارفة، واتخذوا البراذين والخيل، وتسموا بالحسن والحسين وعلي، وامتنع كثير من كبرائهم عن دفع الجزية.،إنا لم نر أهل ملة قط أكثر زندقة من النصارى"(٢١٣) يمكن للباحث أن يلمح مما أورده الجاحظ أن أهل الذمة قاموا بدور خطير ربما غفل عنه الكثيرون وهو محاولتهم إدخال أفكار غريبة وهدامة إلى المجتمع الإسلامي خاصة وان هذه الفترة كان يعاني فيها الناس من فلسفة الاعتزال التي بحثت في خلق القرآن والأسماء والصفات، وتشير إحدى الدراسات الحديثة إلى كثرة الموظفين من أهل الذمة في عهد الخليفة المتوكل على اللّه(٢١٤).

ولقد شكا الناس إلى الخليفة المتوكل أثناء مسيره إلى الحج من استطالة كتاب أهل الذمة على المسلمين، وتشير إحدى الروايات التاريخية إلى أن الخليفة المتوكل قال: "قد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناسا لا رأي لهم وروية يستعينون بأهل الذمة في أفعالهم ويتخذون بطانة من دون المسلمين، ويسلطونهم على الرعية فيعسفون بهم ويبسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشهم والعدوان عليهم"(٢١٥)، فغضب الخليفة من هذا الأمر حيث كانت ردة فعله تجاه ذلك على ما تذكر الرواية "فأعظم أمير المؤمنين ذلك، وأنكره وأكبره وتبرأ منه"(٢١٦).

إن مثل هذه الروايات تجعل الباحث ينظر إلى تعامل المتوكل مع أهل الذمة من عمال الدولة في الإطار الإداري أو الاجتماعي وليس في الإطار الديني، فقد تعرض كثير من عمال الدولة كالولاة والكتاب ورجال الدواوين إلى رقابة صارمة من قبل الخلفاء منذ عهد أبي جعفر المنصور الذي عرف بشدة مراقبته لولاته وعماله، كما أن هارون الرشيد كان قد أوقع برجال الإدارة فيما عرف بعهده بنكبة البرامكة، ومن الإجراءات القريبة من عهد المتوكل التي اتخذت بحق العمال نكبة الكتاب في عهد الخليفة الواثق بالله.

وعليه يمكن حصر الأسباب التي دفعت الخليفة المتوكل على الله بالتشدد تجاه أهل الذمة بأسباب سياسية إدارية اقتصادية اجتماعية بحتة، ولكنها لم تكن بأي حال من الأحوال دينية، وفي هذا الإطار جاء عمل المتوكل تجاه أهل الذمة من الناحية الإدارية قد تمثل بنكب عددا من الكتاب والموظفين لأنهم قد عملوا جهابذة لجمع الأموال وتحصيل ضرائب الدولة المستحقة على التجار والمزارعين فقاموا أحيانا بتعذيب المسلمين لتحصيل أموال الدولة منهم[٢١٧]، كما قام المتوكل بمصادرة أموال بعض أهل الذمة الذين ربما اكتسبوها بطريقة غير مشروعة، من خلال عملهم في الجهاز المالي للدولة، ومنهم رجال عملوا في وظائف ادارية في الدولة مثل إبراهيم النصراني الذي صادر منه الخليفة المتوكل سبعين ألف دينار، وأمر بحبس الهيثم بن خالد النصراني وابن أخيه سعدون عندما وجد بحوزتهم أموال وضياع كثيرة[٢١٨] وهنا لا بد للباحث من القول أن ما قام به الخليفة المتوكل قد جاء بسبب عبث هؤلاء بأموال الدولة، واستغلال المركز والموقع الوظيفي في جمع أموال غير مشروعة منها السرقة والرشوة، فكان لا بد من الحد من تعسفهم واستغلال نفوذهم.

إجراءات الخليفة المتوكل تجاه أهل الذمة:

١- أمر الخليفة أن يتميزوا في لباسهم وعمائمهم[٢١٩] وذلك بتحديد اللون العسلي لهم[٢٢٠].

٢- أمر أن يتميز عبيدهم عن عبيد المسلمين في الزي، بأن يضعوا على الملابس زرين وأن تكون قلنسوة العبد الذمي مخالفة لشكل ولون قلنسوة العبد المسلم[٢٢١]، وأن يكون على ثيابهم من الخلف رقع، توضع على ملابسهم مخالفة في اللون، وأمرهم بلبس الزنانير[٢٢٢].

٣- منعهم من دخول حمامات المسلمين، وخصصت لهم حمامات خاصة يكون خدمها من أهل الذمة[٢٢٣].

٤- منعهم من استخدام المسلمين في حوائجهم الخاصة كخدم[٢٢٤].

٥- أمرهم بوضع كرات خشبية في رقابهم[٢٢٥].

٦- منعهم من إظهار صلبانهم في احتفالاتهم الدينية، وأمرهم بالإسراع في المشي في الطرقات[٢٢٦].

٧- فرض عليهم قيود عمرانية، بأن يحيطوا بيوتهم بأسوار خشبية، وان يضيقوا منازلهم وبيوتهم، حتى لا تبدوا فسيحة وسيعة[٢٢٧].

٨- أمرهم بتسوية قبورهم بالأرض[٢٢٨].

٩- أمر بتخريب بعض كنائسهم المحدثة[٢٢٩]، مثل كنيسة ديرمريوتان[٢٣٠].

١٠- نهى الخليفة المتوكل عن الاستعانة بأهل الذمة، أو تعيينهم في إدارة الدولة، أو الدواوين التي يكون لهم فيها حكم على مسلم[٢٣١].

١١- نهى عن قيام المعلمين المسلمين بتعليم أبناء أهل الذمة[٢٣٢].

١٢- أمر نساء أهل الذمة بلبس الإزار العسلي، وأن تأخذ كل واحدة معها غطاء عند دخول باب الحمام[٢٣٣].

١٣- منعهم من ركوب الخيل واقتصر ركوبهم على البغال والحمير[٢٣٤].

١٤- اصدر مرسوما في سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م منع فيه أهل الذمة من تعلم اللغة العربية وقرر عليهم تعلم السريانية والعبرانية، وهذا ما دفع الكثير منهم إلى دخول الإسلام[٢٣٥].

١٥- أمر بأخذ العشر على منازل أهل الذمة علاوة على الجزية، يورد الطبري ذلك في سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩[٢٣٦]، وقد كانت هذه الإجراءات التي قام بها المتوكل كردة

فعل على الثراء الفاحش الذي تمتع به أهل الذمة على حساب طبقات المجتمع الأخرى. ولعل الخليفة قصد من هذه الإجراءات عزل أهل الذمة عن المجتمع الإسلامي والحد من نفوذهم على عامة المسلمين، كما انه أراد أن يقلل من مقدار الثراء الفاحش الذي تمتعوا به، فقد عمل كثير منهم في إدارة الدولة وماليتها فجمعوا الثروة والسلطة والنفوذ ومظاهر الثراء، لأنه في هذه الفترة كانت المناطق أو القرى يتم تضمينها أحيانا من قبل أحد أثريائها أو رؤسائها، بأن يدفع مقداراً معيناً للخزينة وله أن يجبي الجزية بعد ذلك(٢٣٧). وقد بينت الشريعة الإسلامية الغراء أن الواجب على أهل الذمة أن يحترموا شعور المسلمين، الذين يعيشون بين ظهرانيهم، وأن يراعوا هيبة الدولة الإسلامية التي تظلهم بحمايتها ورعايتها. فلا يجوز لهم أن يسبوا الإسلام أو رسوله أو كتابه جهرة، ولا أن يروجوا من العقائد والأفكار ما ينافي عقيدة الدولة ودينها، ما لم يكن ذلك جزءًا من عقيدتهم كالتثليث والصلب عند النصارى. ولا يجوز لهم أن يتظاهروا بشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ونحو ذلك مما يحرم في دين الإسلام، كما لا يجوز لهم أن يبيعوها لأفراد مسلمين، لما في ذلك من إفساد المجتمع الإسلامي وعليهم ألا يظهروا الأكل والشرب في نهار رمضان، مراعاة لعواطف المسلمين. وكل ما يراه الإسلام منكرًا في حق أبنائه، وهو مباح في دينهم، فعليهم - إن فعلوه - ألا يعلنوا به، ولا يظهروا في صورة المتحدى لجمهور المسلمين، حتى تعيش عناصر المجتمع كلها في سلام ووئام. والمدقق بالإجراءات التي اتخذها المتوكل بحق أهل الذمة يلحظ أنهم لم يراعوا شعور عامة المسلمين حيث ركبوا الخيول الفارهة وتوسعوا في منازلهم وتمتعوا بثراء فاحش بحكم أعمالهم بمالية الدولة وتسلطهم على رقاب المسلمين في جباية الأموال.

ورغم تلك الإجراءات التي قام به الخليفة المتوكل على الله بحق أهل الذمة إلا انه كان متسامحا معهم في بعض الأحيان ففي ما يتعلق بالجزية الشرعية فقد خفض الجزية المفروضة على نصارى نابلس في فلسطين عندما اشتكوا إليه ضيق الحال

فقلصها من عشرة دنانير إلى ثلاثة[٢٣٨]، كما أنه سمح لهم بممارسة احتفالاتهم الدينية الخاصة بهم[٢٣٩].

وبناءً على ما تقدم يمكن القول بأن إجراءات الخليفة المتوكل تجاه أهل الذمة توضع في السياق الاجتماعي الإداري السياسي وان كانت أحيانا تبدو في ظاهرها دينية.

والحقيقة أن المتعمق في أوضاع الدولة العباسية في عهد الخليفة المتوكل يجد أنه كان يحارب على أكثر من جبهة داخليا وخارجيا، فالفتن والاضطرابات التي تعصف في الدولة كثيرة، والمؤامرات التي يحيكها خصومه عديدة، من العلويين و المعتزلة أكثر إضافة إلى الجند الترك، فكان يبحث عن دعم شعبي في محاولة مقاومة الخصوم بغية مساعدته ضد المناوئين له ،فكان يرى في العامة والفقهاء والمحدثين خير نصير له. وينبغي أن لا يغيب عن البال تعديات البيزنطيين على الثغور الإسلامية وأعمال السلب والنهب والتخريب والسبي والقتل التي قاموا بها على المناطق الحدودية.

الخاتمة ونتائج البحث:

توصل الباحث إلى نتائج هامة، يمكن إجمالها في التالي:-

- بين البحث قوة شخصية الخليفة المتوكل على الله، وقدرته على مواجهة الخصوم على أكثر من جبهة في آن واحد، في حين توهم كثير من الدارسين للعصر العباسي عندما اعتبر كثير منهم الخليفة المتوكل من الخلفاء المغمورين والضعفاء، فكثير من الدراسات الحديثة تتوقف عند عهد الخليفة المعتصم باعتباره خاتمة خلفاء العصر العباسي الأقوياء والمشهورين.
- أماط البحث اللثام عن الدور الكبير الذي لعبه الخليفة المتوكل في تجذير مذهب أهل السنة والجماعة، في العصر الذي كثرت فيه المذاهب الدينية كالخوارج والشيعة والمعتزلة وظهر على السطح غيرهم من أصحاب المذاهب القومية كالشعوبيين والزنادقة.
- أوضح البحث أن الفقهاء والمحدثين وعامة أهل السنة والجماعة كانوا يستعلون على المذهبية وينأون بأنفسهم عن الجدل والخوض في المسائل التي تفرق الأمة والجماعة،

فآثروا ما يسمى بلغة عصرنا المقاومة السلمية متسلحين بالعلم والصبر، فكان ذلك خير معين لهم في تثبيت الأمة في اللحظة الصعبة، فكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله سراجا أضاء لعامة الأمة ليلها الحالك.

- أثبت هذا البحث أن الخليفة المتوكل على الله انتهج سياسة قربته من الجمهور. إذ إنه أوجد حالة من الانسجام الفكري بينه وبين العامة والفقهاء.
- كشف هذا البحث أن الخليفة فرض رقابة شديدة على خصومه السياسيين من العلويين.
- أظهرت الدراسة أن عهد الخليفة المتوكل كان مختلفا كليا عن عهود أسلافه (المأمون والمعتصم والواثق)، الذين تبنوا نخبة من المتفلسفين والمثقفين بآراء دخيلة على الإسلام،ممن بحثوا في الأسماء والصفات التي سكت عنها أفضل الخلق رسولنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، أما الخليفة المتوكل فقد سار مع جمهور الأمة ومحدثيها في عهده في إضعاف المعتزلة.
- كشف هذه الدراسة حالة الترف الفكري الذي عاشته الأمة منذ الثلث الأخير للقرن الثاني الهجري من العصر العباسي الأول، وهذا الترف إن صح التعبير أنتج مدارس كلامية لها منظريها ومفكريها كالمعتزلة.
- بين البحث أن الخليفة انتهج سياسة صارمة تجاه المعتزلة فقد نكب أتباع هذه المدرسة،وفي ذات الوقت أطلق سراح المساجين من الذين قاوموا هذا المذهب، ورفع من مكانة الفقهاء والمحدثين.
- أثبتت الدراسة أن مذهب المعتزلة كان ضعيفا جدا وغير قادر على الصمود أمام السلطة، في الوقت الذي ظهر فيه أن مذهب السنة والجماعة كان من القوة بمكان جعلته يثبت ويقاوم اضطهاد سلطة المعتزلة.
- أوضح البحث سوء نوايا أهل الذمة من الذين عملوا على ترجمة التراث الإغريقي والروماني، وقاموا بدور خطير كاد يعصف بالأمة، إذ إن هؤلاء المترجمين قد

أدخلوا في الحضارة والفكر الإسلامي كثيراً من الأمور التي لا يمكن بأي حال من الأحوال قبول الإسلام لها، وخاصة الأمور الفلسفية المتعلقة بالغيبيات وذات الله الخالق جل في علاه.

- توصلت الدراسة إلى أن المحرك الرئيس لسياسة الخليفة المتوكل الدينية هذه ،كان الهدف منه سياسيا بحتا، يتعلق ببحث الخليفة المتوكل على الدعم الشعبي من العامة لمقاومة خصومه الكثر وعلى رأسهم قادة الجيش الأتراك.

الحواشي والتعليقات:

(١) اليعقوبي, تاريخ, ج٢, ص٢٨٤.

(٢) المسعودي, مروج الذهب, ج٤, ص٨٥.

(٣) الطبري, تاريخ, ج٩, ص٢٣٠.

(٤) ابن الأثير, الكامل, ج٦, ص٩٧.

(٥) المحاسن, ص٥٣١.

(٦) ابن الأثير, الكامل, ج٦, ص٩٧.

(٧) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٨٢؛ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٩٣؛ ابن العمراني، الأنباء، ص١١٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٧٩؛ مسكويه، تجارب، ج٤، ص١٠٦؛ ابن الكازوني، مختصر، ص١٤٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٨٨؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٧؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٣١٠؛ ابن خلدون، العبر، ص٧٥١.

(٨) اليعقوبي، تاريخ، ح٢، ص٤٨٣.

(٩) الدراعة: هي ثوب ناعم فضفاض غير مخاط الجانبين مفتوحة اليدين متسعة بقدر طول الذراع وتكون مزركشة انظر: www.coptichistory.org/newpage والقلنسوة الرصافية هي غطاء مستدير للرأس مبطن من الداخل يصنع من القماش أو الجلد وتكون موشاة بألوان ذهبية وهي من عمائم الخلفاء وأولياء العهد وحاشية الخليفة كانت تصنع في الرصافة من نواحي بغداد.انظر: الشواورة، سياسة، ص١٠٣.

(١٠) تاريخ، ج٥، ص٢٩٣؛ انظر: أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٧؛ مسكويه، تجارب، ج٤، ص١٠٦؛ ابن خلدون، العبر، ص٧٥١؛ الترمانيني، أزمنة، ج١، ص٩١٦.

(١١) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٥٣١ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٩٧.

(١٢) أحمد شلبي، موسوعة، التاريخ الإسلامي، ج٣، ص١٩٩ فاروق عمر فوزي، محاضرات، ص٣٣ محمد العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص١٠٤؛ خالد ألعزام، العصر العباسي، ص١٦٦, ناجي معروف، أصالة الحضارة، ص٢٣.

(١٣) انتصار الكساسبة، صراع البيت العباسي، ص١٩٨, إحسان العمد وآخرون، تاريخ الدولة العباسية، ١٩٩٥، ص١٩٧.

(١٤) أشناس هو أحد قادة الجيش الأتراك يلقب بأبي جعفر.وهو في الأصل مملوك تركي لأبي هارون بن خازم, انظر: اليعقوبي, البلدان, ص٢٧.

(١٥) إيتاخ هو غلام تركي من الخزر اشتراه سلام الأبرش فعمل عنده طباخا ثم باعه للخليفة المعتصم فأعجب بشجاعته, انظر: القضاعي, عيون, ص٤٤٩, وسلام الأبرش هو أحد رجالات بلاط الرشيد, حيث عمل خادما عنده, انظر: عبد الباقي, سامراء, ص٤٧٠.

(١٦) بغا هو أحد القادة الأتراك يلقب بابي موسى, اشتراه المعتصم وهو غلام صغير ورباه عنده, انظر: نعمان ثابت, العسكرية, ص١٨٨.

(١٧) هو أحد المماليك الأتراك الذين عملوا في جيش المعتصم, كان بداية حياته يعمل زرادا لآل لنعمان, ولما اشتراه المعتصم صار من كبار قادة الجيش, انظر: اليعقوبي البلدان, ص٢٧.

(١٨) يتفق المؤرخون على أن سبب بناء مدينة سامراء كان بسبب مضايقة الجند الترك لأهل بغداد عندما كانوا يركبون الخيول في الشوارع الضيقة, فاشتكى العامة إلى الخليفة المعتصم وهددوه بالثورة فرحل إلى موقع بناء مدينة سامراء, انظر: البيطار, دراسات, ص٤٠٦.

(١٩) مسكويه, تجارب الأمم, ج٤, ص١٠٦.

(٢٠) القضاعي, عيون وص٤٨٨, النويري ونهاية, ج٢٢, ص٢٧٥.

(٢١) EI:"Mihna".

(٢٢) إسحاق بن حنبل, محنة, ص٧٢.

(٢٣) الخطيب البغدادي, تاريخ, ج١٤, ص٢٩٩.

(٢٤) هو محمد بن عبد الملك بن حمزة أبو جعفر بن الزيات, أصله من الجبل كان أبوه جعفر يعمل بتجارة الزيت, وهو شاعر بليغ, عالما باللغة والنحو والشعر, عمل وزيرا للمعتصم والواثق, امتاز بالقسوة والشدة, للمزيد انظر: ابن النديم الفهرست, ص١٤٥, الشابستي, الديارات, ص٦٤, ابن أيبك الصفدي, الوافي, ج٤, ص٣٢, أبو الحسن الصابي, رسوم, ص٦٦, ابن خلكان, وفيات, ج٥, ص١٠٣.

(٢٥) ابن الجوري, المنتظم, ج٩, ص١٦٢.

(٢٦) هو أبو عبد الله احمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير الأيادي من رؤوس المعتزلة في عهد المعتصم والواثق, انظر: ابن خلكان, وفيات, ج١, ص٦٣, القرماني, أخبار, ص٢١٦, التنوخي, نشوار, ج٢, ص١٠٢, البغدادي, الفرق بين الفرق, ص١٦٣.

(٢٧) هو محمد بن البعيث الذي هرب من بغداد إلى أذربيجان سنة٢٣٤هـ/٨٤٨م وجمع حوله الأتباع وثار على الخليفة المتوكل علة الله فأرسل إليه جيشا من الترك تمكنوا من هزيمته وأسره سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م فأمر الخليفة بضرب عنقه. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٢- ٤٣.

(٢٨) الطبري, تاريخ ج٩, ص١٦٥.

(٢٩) ابن الأثير, الكامل, ج٧, ص٥٨, ٧٣.

(٣٠) المقريزي, الخطط, ج١, ص١٩٤, ابن خلدون, العبر ج٣, ص٣٤٦ (والبجة هي القبائل التي كانت تقطن شما وشرق السودان وتنتشر على سواحل البحر الأحمر الغربية, وانتشروا في بلاد النوبة،وقد عقدوا مع المسلمين هدنة على أن يبقوا علة دينهم مقابل دفع الجزية.وكانت بلادهم تشتهر بمناجم الذهب والفضة وكانوا يدفعون الخمس للدولة العباسية، وقد نقضوا العهد أكثر من مرة في عهد الخليفة

المتوكل الذي أرسل إليهم عدة حملات عسكرية فأدبهم وطلبوا منه الصلح ثانية فوافق الخليفة على ذلك. انظر: السامرائي، تأريخ، ص٨٩- ٩٠.

(٣١) ينتسب الصفاريون إلى مؤسس دولتهم يعقوب بن الليث بن الصفار الذي كان يعمل في بداية حياته بصناعة الصفر ثم خرج على الدولة العباسية في سجستان وكون هو وأتباعه دويلة في تلك المناطق. انظر: حسن محمود واحمد الشريف، العالم الإسلامي، ص٢٥٦.

(٣٢) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٧.

(٣٣) ابن كثير، ج١٠، ص٣٢٤.

(٣٤) عصام سخنيني، العباسيون، ص٤٧.

(٣٥) البلاذري، انساب، ج٣، ص١٢٤٥، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٥٢.

(٣٦) ابن الأثير، ج٥، ص١٦٨.

(٣٧) الشواورة، سياسة، ص٣٧- ٤٢.

(٣٨) الأصفهاني، مقاتل، ص٣٦٦، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٧٥.

(٣٩) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٤٢.

(٤٠) المصدر السابق، ج٨، ص٢٥٦.

(٤١) المصدر السابق، ج٨، ص٥٦٦.

(٤٢) المصدر السابق، ج٨، ص٥٧٥ (أبو السرايا هو السري بن منصور الشيباني تزعم ثورة ضد الدولة العباسية في عهد الخليفة المأمون سنة١٩٩هـ/٨١٥م باسم محمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بابن طباطبا العلوي في مدينة الكوفة واستطاعت جيوش الخليفة هزيمته ومطاردته حتى قتل في النهروان. انظر: الطبري، تاريخ، ج٨، ص٥٢٨؛ فوزي، الخلافة، ص٢٤١.

(٤٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٢، ص١١٣.

(٤٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤٦٤.

(٤٥) الأصفهاني، مقاتل، ص٤٧٢.

(٤٦) الشواورة، سياسة، ص٣٢- ٤٢.

(٤٧) علي الهادي هو الإمام العاشر من أئمة الشيعة الامامية الاثنى عشرية توفي في سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م، وقد كان الخليفة المتوكل على الله يشك في نواياه واحضره من المدينة المنورة وسجنه في سامراء. انظر: فوزي، الخلافة، ص٥٧.

(٤٨) العصامي، سمط النجوم، ج٣، ص٣٣٩.

(٤٩) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٣٩.

(٥٠) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٥٥.

(٥١) المصدر السابق، ج٧، ص٥٥.

(٥٢) علي بن الجهم الشامي من بني شامة بن لؤي كان من ندماء الخليفة المتوكل وقد عرف ببغضه للعلويين عاش فترة من الزمن مقربا من الخليفة المتوكل حتى غضب عليه ونفاه إلى خراسان سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م. انظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢١٢.

أبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني أمية كان من المقربين من الخليفة المتوكل على الله، وعرف عن أبي السمط بأنه كان يخوف الخليفة المتوكل ويوغر صدره على العلويين ويشير عليه بالإعراض عنهم. انظر: ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص٣٠٩.

(٥٣) ابن الجوزي, المنتظم, ج١١, ص٢٣٧.

(٥٤) ابن الأثير, الكامل, ج٦, ص١٠٨, ابن كثير, الكامل, ج١٠, ص٦٧٧.

(٥٥) هو عيسى بن جعفر بن محمد الذي عرف بالغلو في تشيعه، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٨

(٥٦) الطبري, تاريخ, ج٩, ص٢٠٠.

(٥٧) فوزي, الخلافة, ص٢٩٨.

(٥٨) ابن الطقطقا, الفخري, ص٢٣٧- ٢٣٨.

(٥٩) المصدر السابق, ص٢٣٨.

(٦٠) أحمد العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص٢٠- ٢٤.

(٦١) أبو حذيفة واصل بن عطاء (ت١٣١هـ/٧٤٨م) من أئمة علم الكلام وكان يلقب بالغزال اشتهر بالتصدق على النساء العفيفات، انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص١٣٧ ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٦٠، أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٢٩٦.

(٦٢) الحسن البصري، هو الحسن بن أبي الحسن البصري (ت١١٠هـ/٧٢٨م) هو إمام أهل البصرة وسيد النابغين وأمه مولاه لأم سلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٤٤١، الزركلي، الإعلام، ج٢، ص٢٤٢.

(٦٣) أمين، فجر، ص٢٩٦؛ EI2 Mu'tazila.

(٦٤) مروج الذهب، ج٢، ص١٧٤.

(٦٥) الملل والنحل، ج١، ص٣٣- ٥٥.

(٦٦) عن هذه التعاليم انظر: الإمام عبد القاهرة بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، للمزيد عن فكر المعتزلة انظر: فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، ص٢٨٢ - ٢٨٤, عادل العوا، المعتزلة والفكر الحر، ص٤٥ - ٥٥، حسن حنفي، موسوعة الحضارة، ص٥٧٧- ٥٨٥، عبد الجبار ناجي وآخرون، الدولة العربية، ص١٧٧، أحمد أمين، موسوعة الحضارة، ج١، ص٢٩٩ - ٣٠٥, زهدي جار الله، المعتزلة، ص١٨٤) ؛ Marshall, O. S. The Venture of Islam chicagopress, 1982, p.384.

(٦٧) جار الله، المعتزلة، ص٥٢.

(٦٨) العمرجي، المعتزلة، ص٤٥.

(٦٩) الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٧٨.

(٧٠) المسعودي، مروج، ج٤، ص٤٠.

(٧١) الكساسبه، السلطة، ص١٢٣.

(٧٢) هو إسحاق بن إبراهيم هو الوالي على بغداد وشرطتها منذ عهد الخليفة المأمون،وكان من اشد المتحمسين لمذهب المعتزلة والقول بخلق القرآن واشتهر بأنه كان يمتحن العلماء والقضاة في خلق القرآن. انظر: الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٨٦- ١٨٧.

(٧٣) الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٨٦.

(٧٤) نص الرسالة عند، الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٨٦- ١٨٧.

(٧٥) الكساسبه، السلطة، ص١٢٤.

(٧٦) سجادة والقواريري هما من علماء بغداد وممن رفضوا القول بخلق القرآن وكانوا معاصرين للإمام احمد بن حنبل،فقام والي بغداد بحبسهم وضربهم بالسياط وعانوا من التعذيب فأجابوا بخلق القرآن فأطلق سراحهم. انظر:الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٩٣.

(٧٧) الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٩٣- ١٩٤.

(٧٨) الدميري، تاريخ، ص٩٨.

(٧٩) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٨، ص٢١٦.

(٨٠) جار الله، المعتزلة، ص٧٨- ٧٩.

(٨١) المسعودي، مروج، ج٤، ص٤٠.

(٨٢) المسعودي، مروج، ج٤، ص٤٠.

(٨٣) أمين، ضحى، ج٣، ص١٦٩؛ العمرجي، المعتزلة، ص٦٠؛ حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي، ص٤١.

(٨٤) الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٧٣.

(٨٥) عبد الحسين، موقف، ص٣٨٨.

(٨٦) تاريخ، ج٥، ص٢٧٢.

(٨٧) الكساسبة، السلطة، ص١٢٦؛ EI1 "Mihna".

(٨٨) السيوطي، تاريخ، ص٣٣٥.

(٨٩) جار الله، المعتزلة، ص١٧٢.

(٩٠) هو نعيم بن حماد الخزاعي الحافظ من علماء الحديث الذين امتحنوا في خلق القرآن ولم يجب ومات في الحبس سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م رحمه الله. انظر: الذهبي، العبر، ج١،ص٣١٨؛ السبكي، طبقات، ج٢، ص٥٣.

(٩١) القرماني، أخبار، ص١٥٥.

(٩٢) عن تفاصيل محنة الإمام انظر: ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، ص٢٦- ٥٣

(٩٣) الدميري، تاريخ، ص٩٨.

(٩٤) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٩، ص١٩٧.

(٩٥) الدميري، تاريخ، ص١٠٠.

(٩٦) ابن الجوزي، مناقب، ص٣٩٧- ٤١٦؛ عبدا لحسين، موقف، ص٣٩٢- ٣٩٥.

(٩٧) الدميري، تاريخ، ص١٠١.

(٩٨) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٢، ص٦٩٩.

(٩٩) ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٢١٨؛ الكساسبة، السلطة، ص١٢٦.

(١٠٠) حسن محمود، العالم الإسلامي، ص١٤١

(١٠١) الشواورة, خلافة, ص٢٥- ٢٦.

(١٠٢) محمد التميمي، كتاب المحن, ص٢٥٣, تقي الدين الحنفي، الطبقات السنية، ج١، ص٣٨- ٣٩.

(١٠٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٨٢، انظر ايضا: فاروق عمر فوزي، العباسيون الأوائل، ص٢٨٤.

(١٠٤) وكيع بن حيان، أخبار القضاة، ج٢، ص١٧٥ ؛ J.saundress, A History of medieval Islam, London, 1982, P112.

(١٠٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٠، ص٧٣؛ ابن الجوزي المنتظم، ج١١، ص٢٩٧؛ ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٠٧.

(١٠٦) الذهبي، العبر، ج١، ص٣٢٠ - ٣٢١، الذهبي، تاريخ، ص٦، الحنبلي، شذرات، ج٢، ص٦٩، اليافعي، مرآة، ج٢، ص٧٦، ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٣١٤- ٤٨٢، السيوطي، تاريخ، ص٣٤٠، علي، موسوعة، ص٢١٧، حسين، موسوعة، ص٤٦٨ - ٤٦٩، Hussein F.Kasassbeh, The office of qadi in the early Abbasid Caliphate (132-247, 750-861) Amman, 1994. P230.

(١٠٧) الماوردي، نصيحة الملوك، ص١٠٦؛ الأزدي، أخبار، ج٢، ص٣٥٤.

(١٠٨) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٥؛ مسكويه، تجارب، ج٤، ص٩٨؛ زهدي جار الله، المعتزلة، ص١٨٥

(١٠٩) الذهبي، دول، ج١، ص١٠٨.

(١١٠) ابن خلكان, وفيات, ج١, ص٦٣.

(١١١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٢٩٩- ٣٠٢.

(١١٢) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٥- ٢٨٦؛ مسكويه، تجارب، ج٤، ص٩٩؛ ابن واردان، تاريخ، ص٥٥٦- ٥٥٧؛ ابن العبري، تاريخ، ص٣٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٣١٤.

(١١٣) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٥.

(١١٤) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٥؛ جار الله، المعتزلة، ص١٨٥؛ ناجي، الدولة، ص١٤٦؛ خالد الجنابي، تنظيمات الجيش، ص١٣٤.

(١١٥) انظر: العلي، سامراء، ص٣٢.

(١١٦) فهمي جدعان، المحنة, ص٧٩, سلطان بن حثلين، الفقهاء والخلفاء، ص١٢٨.

(١١٧) أمين، موسوعة، ج٢٢، ص١٥٢، أيوب، التاريخ، ص٩٨.

(١١٨) السيوطي، تاريخ، ص١٢٨.

(١١٩) اليعقوبي، مشاكلة، ص٣١.

(١٢٠) القضاعي، عيون، ص٤٤٨، النويري، نهاية، ج٢٢، ص٢٧٥، سالم، العصر، ص٩٦.

(١٢١) تاريخ، ص٣٦.

(١٢٢) عن سيرة الإمام أحمد بن حنبل المفصلة انظر: ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٦٣، التميمي، المحن، ص٤٣٨، بن حجر العسقلاني، أطراف مسند الإمام، ج١، ص٣٧- ٤٣، أبو علي يحي بن جزية البغدادي، مختصر تاريخ بغداد، ص١٢٧، ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٢٥- ٣٤٢، تاج الدين ألسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص٢٢، جلال الدين السيوطي، طبقات الحفاظ، ، ص١٨٦، Fawzi, studies, p.272؛ أحمد، موقف، ص٣٩٦، عاشور، دراسات، ص٤٨، الشكعة، الإمام، ص١٦١، ختام محمود القرعات، الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل، ص٤.

(١٢٣) ابن خلكان, وفيات, ج١, ص٦٣.

(١٢٤) إسحاق بن حنبل, محنة الإمام, ص٧٢.

(١٢٥) أحمد أمين, موسوعة, ج٣, ص١٦١.

(١٢٦) Patton, W. M., Ahmad bin Hanbal and the Mihna, Leiden, 1897, p.119.

(١٢٧) يعقوب بن يوسف البويطي تلميذ الإمام الشافعي من قرية بويط في صعيد مصر, رفض القول بخلق القرآن فحمل من مصر الى العراق مقيدا فحبس وبقي في سجنه حتى مات رحمه الله. انظر: السبكي، طبقات، ج٢، ص١٦٢- ١٦٥.

(١٢٨) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٢٩٩- ٣٠٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج١، ص١٧٤، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٦، الترمانيني، أحداث، ص٣٠٧، القلقشندي، مآثر، ج١، ص٢٢٧.

(١٢٩) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٤، ص٢٦، ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٦١- ٦٤.

(١٣٠) الذهبي، العبر، ج١، ص٣٢٣، اليافعي، مرآة، ج٢، ص٧٧، ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص٣٠٦، ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٣٥، الحنبلي، شذرات، ج٢، ص٧١ - ٧٢، ألسبكي، طبقات، ج٢، ص١٦٢- ٢٦٥.

(١٣١) الذهبي, العبر, ج١, ص٣١٨, .Kassasbeh, The office, p.118.

(١٣٢) الأنصاري، طبقات المحدثين، ج٢، ص١٣١- ١٣٢، تقي الدين التميمي، طبقات المحدثين، ج١، ص١٦٨.
(١٣٣) الأنصاري, طبقات, ج٢, ص١٣١.
(١٣٤) التميمي, المحن, ص٤٣٦.
(١٣٥) ابن حزم، رسائل بن حزم، ج٣، ص١٧٣.
(١٣٦) السيوطي، تاريخ، ص٣٤١- ٣٤٢.
(١٣٧) الذهبي، سير، ج١٢، ص٥٤.
(١٣٨) الذهبي، طبقات الحفاظ، ج١، ص٩٧.
(١٣٩) المصدر نفسه، ج١، ص٤٣.
(١٤٠) المسعودي، التنبيه، ص٣٢٩، انظر: محل، رسوم، ص١٥٥.
(١٤١) ألسبكي، طبقات، ج٢، ص٦١.
(١٤٢) ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص١٠٣.
(١٤٣) وكيع، أخبار، ج٣، ص٢٧٧.
(١٤٤) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨١، البغدادي، الفرق، ص١٦٣، مسكويه، تجارب، ج٤، ص٩٥- ٩٨، ابن واردان، تاريخ، ص٥٦٢- ٥٦٣، ألسبكي، طبقات، ج٢، ص٥١، ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٠٥، ابن العماد، شذرات، ج٢، ص٦٩، البكجري، مختصر، ص١٣٥.
(١٤٥) السيوطي، تاريخ، ص٣٤٠.
(١٤٦) الذهبي، دول، ج١، ص١٠٧، ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٦٥.
(١٤٧) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٨٢، الدميري، تاريخ، ص١٠٨. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢، ص٣٣٧، الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٥، ص١٧٣، النويري، نهاية، ج٢٢، ص٢٦٥، رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد، ص٨٠.
(١٤٨) الذهبي،سير، ج١٠، ص٣٠٦.
(١٤٩) ألسبكي، طبقات الشافعية، ج٢، ص٥١.
(١٥٠) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٥، ص١٧٣- ١٧٩، وقد ورد حوار مشابه عند ابن الأثير الكامل، ج٥، ص٢٧٤، ابن كثير، البداية، ج٩، ص؛٣٠٤السيوطي، تاريخ، ص٣٤٠- ٣٤١، ألسبكي، طبقات الشافعية، ج٢، ص٥١.
(١٥١) الصمصامة: هو السيف الذي ينثني يعود السيف إلى عمرو بن معد يكرب، انظر: الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٣- ٢٨٤؛ نعمان ثابت، العسكرية في عهد العباسيين، ، ص١٥٠
(١٥٢) الذهبي، طبقات، ج١، ص٨٠- ٨٢، السيوطي، تاريخ، ص٣٤٠
(١٥٣) ابن الجوزي ت٥٩٧هـ، صفة الصفوة، ج٢، ص٣٣٧- ٣٣٨.

(١٥٤) الطبري, تاريخ, ج٥, ص٢٨٤.

(١٥٥) جدعان، المحنة، ص١٧١، عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٣٦.

(١٥٦) اليعقوبي, تاريخ, ص٤٨٧, الذهبي, دول الإسلام, ج٢, ص١٠٩.

(١٥٧) اليعقوبي, تاريخ, ص٣٤١.

(١٥٨) المسعودي, مروج, ج٢, ص٣٩١.

(١٥٩) المطهر المقدسي, البدء والتاريخ, ج٥, ص١٢١.

(١٦٠) ابن كثير, البداية, ج١٠, ص٦٧٨.

(١٦١) اليعقوبي, تاريخ, ص٤٨٤.

(١٦٢) ابن كثير, ج١٠, ص٦٧٩.

(١٦٣) المقدسي, البدء, ج٥, ص١٢١.

(١٦٤) ابن كثير, البداية, ج١٠, ص٦٧٩.

(١٦٥) ابن خلكان, وفيات, ج١, ص٦٣.

(١٦٦) ابن كثير, البداية, ج١٠, ص٧٠٢.

(١٦٧) ابن كثير, البداية, ج١٠, ص٦٨٧.

(١٦٨) المسعودي, مروج, ج٤, ص٨٦, السيوطي, تاريخ, ص٤٠٦.

(١٦٩) ابن الجوزي, المنتظم, ج١١, ص٢٠٧.

(١٧٠) فتحي الشواورة, خلافة الواثق, ص٦٩- ٨١.

(١٧١) ابن العماد الحنبلي, شذرات, ج٢, ص٧٨, ابن العمراني, الإنباء, ص١١٧.

(١٧٢) الدميري, حياة, ج١, ص٧٧.

(١٧٣) ابن الأثير, الكامل, ج٦, ص٩٧.

(١٧٤) سورة البقرة: ٢١٩.

(١٧٥) سورة البقرة: ٢٣٧.

(١٧٦) مسند أحمد (٣/٤٤٠) من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه، وأخرجه أبو داود في الأدب (٤٧٧٧)،

(١٧٧) الخطيب البغدادي, تاريخ, ج٢, ص٣٤٢.

(١٧٨) المسعودي, مروج, ج٤, ص٩٦.

(١٧٩) السيوطي, تاريخ, ص٤٠٦.

(١٨٠) الديار بكري, تاريخ الخميس, ج٢, ص٣٣٨.

(١٨١) الذهبي, دول, ج٢, ص١٠٩.

(١٨٢) السيوطي, تاريخ, ص٤٠٨.

(١٨٣) اليعقوبي, مشاكلة الناس, ص٣١, النويري, نهاية الأرب, ج٢٢, ص٢٧٥.

(١٨٤) ابن قيم الجوزي, أحكام, ص١٢- ١٣.
(١٨٥) أحمد أمين, موسوعة, ج٢٢, ص١٥٢.
(١٨٦) الخطيب البغدادي, تاريخ, ج٧, ص١٧٠.
(١٨٧) الفيروز أبادي, القاموس المحيط, انظر:مادة ذَأَمَهُ.
(١٨٨) سورة التوبة, آية, ٢٥٦.
(١٨٩) الحجاوي, الإقناع, ج٢, ص٤٢, ابن جزي, القوانين الفقهية, ص١٠٤.
(١٩٠) سورة البقرة, آية, ٢٥٦.
(١٩١) البخاري، باب إثم من قتل معاهدا(٢٩٩٥)، أبو داوود (٢٧٦٠)، النسائي(٤٧٤٧).
(١٩٢) رواه أبو داود, كتاب الخراج (٣٠٥٢)، البيهقي (١٨٥١١) وقال الألباني: صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة ٤٤٥.
(١٩٣) أبو يوسف, الخراج, ص١٢٥.
(١٩٤) البيهقي, السنن, رقم ١٩٢٠٦, ابن زنجويه, الأموال, ص١٤٨.
(١٩٥) حسن إبراهيم, تاريخ الإسلام, ج٣, ص٤٢٥ - ٤٢٦.
(١٩٦) البيطار, دراسات, ص٣٤٥.
(١٩٧) المقدسي, البدء, ص١٨٣.
(١٩٨) رفائيل, أحوال النصارى, ص٤٨.
(١٩٩) عبد الحليم منتصر, تاريخ العلوم, ص٣٧.
(٢٠٠) الحموي, معجم, ج٢, ص٦٨٠.
(٢٠١) الجهشياري, الوزراء, ص١٣٤.
(٢٠٢) ابن قيم, أحكام, ص٢١٧.
(٢٠٣) ابن خياط, تاريخ, ج٢, ص٤٨٢, ابن العبري, تاريخ, ص٤١, ابن الأثير, الكامل, ج٥, ص٢٧٥.
(٢٠٤) الطبري, تاريخ, ج٩, ص١٩٣.
(٢٠٥) ابن الأثير, الكامل, ج٧, ص٥٨.
(٢٠٦) ابن الجوزي, المنتظم, ج١١, ص٢٨٢.
(٢٠٧) المصدر السابق, ج١١, ص٢٨٣.
(٢٠٨) الطبري, تاريخ, ج٩, ص٢٠٦.
(٢٠٩) المصدر السابق, ج٩, ص٢٠٧.
(٢١٠) المصدر السابق, ج٩, ص٢٠٧.
(٢١١) محمد الوكيل, الدولة العباسية, ص٥٥٢.
(٢١٢) ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص٢٣٦.

(٢١٣) الجاحظ، الرد على النصارى، ص٢٠٤، نقلا عن فاروق عمر، الخلافة العباسية، ج١، ص٣١١(وكتاب الجاحظ مخطوط لم أتمكن من العثور عليه).
(٢١٤) فوزي، الخلافة، ص٣١١.
(٢١٥) القلقشندي، مآثر، ج٣، ص٢٢٨.
(٢١٦) المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٨.
(٢١٧) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢، ص١٦.
(٢١٨) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٦٢.
(٢١٩) ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٦٧٧.
(٢٢٠) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٨٧.
(٢٢١) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٧١.
(٢٢٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٦ والزنانير هي جمع زنار وهو وهو حزام يلبسه اهل الذمة ويلف حول الوسط. انظر:www.coptichistory.org/newpage1994.
(٢٢٣) القلقشندي، مآثر، ج٢، ص٢٢٩، ٢٣٣.
(٢٢٤) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٧٢.
(٢٢٥) ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٦٧٦.
(٢٢٦) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٦.
(٢٢٧) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٧٢.
(٢٢٨) المصدر السابق، ج٩، ص١٧٢.
(٢٢٩) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٨٧.
(٢٣٠) الشابستي، الديارات، ص٣٩١؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٨٧.
(٢٣١) المصدر السابق، ج٢، ص٤٨٧.
(٢٣٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٠٦.
(٢٣٣) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٧١.
(٢٣٤) الحنبلي، شذرات، ج٢، ص٩١.
(٢٣٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٢٧٠.
(٢٣٦) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٧٢.
(٢٣٧) أبو يوسف، الخراج، ص١٤٨.
(٢٣٨) ياقوت، معجم، ج١، ص٦١٩.
(٢٣٩) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٩٦، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١١٩.

المصادر والمراجع

أ) المراجع العربية:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي. (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط١، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت. (د.ت).

٣. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم. (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م). الكامل في التاريخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

٤. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (ت٥٧٩هـ/١١٨٣م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار العلم، القاهرة، ١٩٨١م.

٥. صفة الصفوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.

٦. مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط١، القاهرة ١٩٧٩م.

٧. ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا. (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ط١، دار صادر، بيروت (د.ت).

٨. ابن العبري، أبو الفرج غير يغوريوس الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م). تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت (د.ت).

٩. ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي. (ت١٠٨٩هـ/١٦٨٦م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط١، دار أحياء التراث العربي.

١٠. ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد. (ت٥٨٠هـ). الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، مطبعة بريل، ليدن. ١٩٧٣م.

١١. ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد. (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، ط١، تحقيق: مصطفى جواد، وزارة الأعلام، بغداد ١٩٩٢م.

١٢. ابن النديم، محمد بن اسحاق، (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت. ١٩٩٧م.

١٣. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر. (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م). تاريخ ابن الوردي، ط١، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٩م.

١٤. ابن أيبك الصفدي، صلاح الدين خليل. (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م). كتاب الوافي بالوفيات، ط١، اعتناء ديدرينغ، دار فرانز شتاينر للنشر، فيسبادون ١٩١٤م.

١٥. ابن تغري بردي. (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م). النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٦. ابن جريس، غثيان بن علي. بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٣م.

١٧. ابن حثلين، سلطان بن خالد. الفقهاء والخلفاء، دار عمار للنشر، عمان ٢٠٠٠م.

١٨. ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. (ت٣٨٤- ٤٥٦هـ/١٠٦٣م). جمهرة أنساب العرب، تحقيق: نخبة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

١٩. ابن حنبل، إسحاق. ذكر محنة الإمام أحمد، مطبعة سعدي، القاهرة ١٩٨٣م.

٢٠. ابن خلدون، عبد الرحمن. (ت٨٠٨هـ /١٤٠٤م). تاريخ ابن خلدون (العبر)، اعتنى به صهيب ألكرمي، بيت الأفكار، عمان، ٢٠٠٦م.

٢١. ابن خلكان، أحمد بن أبي بكر. (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

٢٢. ابن خياط، خليفة. (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م). تاريخ خليفة بن خياط، مراجعة مصطفى نجيب، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.

٢٣. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م). المعارف، ط١، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٢٤. ابن كثير، الحافظ الدمشقي. (ت٧٧٤هـ١٣٧٢م). البداية والنهاية، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٠م.

٢٥. ابن واردان، حسين بن محمد. (عاش سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م). تاريخ العباسيين، ط١، تحقيق:منجي ألكعبي، الإمارات (د.ت).

٢٦. أبو الشيخ الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف. (ت٢٧٤-٣٦٩هـ/٨٦١- ٩٧٩م). طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨م.

٢٧. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل. (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م). المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية، القاهرة (د.ت).

٢٨. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم. (ت١٨٢هـ/٨٩٧م). كتاب الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٣٦م.

٢٩. أحمد محمود صبحي، في علم الكلام (المعتزلة)، ط٤، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٢م.

٣٠. أحمد، عبد الحسين علي. بيت المال في بغداد خلال العصر العباسي الأول، ١٣٢- ٢٣٢هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٩م.

٣١. أحمد، عبد الحسين علي. موقف الخلفاء العباسيين من أئمة أهل السنة، دار قطري بن الفجاءة، قطر ١٩٨٥م.

٣٢. الأزدي، الإمام جمال الدين أبو الحسن علي. (ت٦١٣هـ/١٢١٦م). أخبار الدول المنقطعة، ط٢، تحقيق:عصام هزايمة وآخرون، دار الكندي، اربد ١٩٩٩م.

٣٣. الأصفهاني، أبو نعيم(ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م). حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٩م.
٣٤. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٧٥م). كتاب الأغاني، ط١، تحقيق: نخبة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م.
٣٥. الأطرقجي، رمزية. الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول، منشورات جامعة بغداد،١٩٨٢م.
٣٦. أمين، أحمد. ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
٣٧. فجر الإسلام. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٦م.
٣٨. موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، دار نوبليس، بيروت، ٢٠٠٦م.
٣٩. أمينة البيطار، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، دار جرير، الرياض ٢٠٠٢م.
٤٠. البغدادي، أبو علي يحي بن جزية. (ت٤٩٣هـ-١٠٩٩م). مختصر تاريخ بغداد، تحقيق: شاكر محمود، بيت الحكمة، بغداد ٢٠٠٣م.
٤١. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد. (ت٤٢٩هـ/٨٦٣م) الفرق بين الفرق، تحقيق:إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠١م.
٤٢. البغدادي، محمد بن حبيب. (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م). كتاب المنمق، ط١، تحقيق: خور شيد أحمد فاروق، دار عالم الكتاب، بيروت ١٩٨٥م.
٤٣. البكجري، علاء الدين بن عبدا لله. (ت٧٦٢هـ/١٣٦٠م). مختصر تاريخ الخلفاء، ط١، دار الفجر، القاهرة ٢٠٠١م.
٤٤. البلاذري، أحمد بن يحيى. (ت٢٧٩هـ/٨٤٣م). أنساب الأشراف، تحقيق: عبد العزيز الدوري، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٨٧م.
٤٥. البيهقي، الشيخ إبراهيم بن محمد. (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م). المحاسن والمساوئ، ط١، دار صادر، بيروت (د.ت).
٤٦. الترمانيني، عبد السلام. أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السينين، ط١، طلاسدار، دمشق ١٩٨٨م.
٤٧. أزمنة التاريخ الإسلامي، تحقيق ومراجعة:شاكر مصطفى، جامعة الكويت ١٩٨٢.
٤٨. التميمي، محمد بن أحمد بن تميم. (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م). كتاب المحن، تحقيق: يحي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م.
٤٩. التنوخي، أبو علي المحسن بن علي. (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م). الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت ١٩٧٨م.
٥٠. ثابت، نعمان. العسكرية في عهد العباسيين، مراجعة حامد أحمد الورد، بغداد،١٩٨٦م.
٥١. جار الله، زهدي. المعتزلة، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٩٠م.

٥٢. جدعان، فهمي. المحنة بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٩م.

٥٣. الجنابي، خالد جاسم. تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ٢١٨- ٣٣٤هـ/ ٨٣٣- ٩٤٥م، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩م.

٥٤. الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس. (ت٣٣١هـ/٩٤٢م)، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٢، مكتبة إلياس، القاهرة، (د.ت).

٥٥. حسن، أحمد محمود؛ الشريف، أحمد إبراهيم. العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٥م.

٥٦. الحنفي، تقي الدين عبد القادر التميمي المصري. (ت١٠٠٥هـ/١٥٩٦م). الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي، الرياض ١٩٨٣م.

٥٧. حنفي، حسن. موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للنشر، بيروت ١٩٨٦م.

٥٨. الدميري، الشيخ كمال الدين. (ت٨٠٨هـ). تاريخ الخلفاء، عناية محمد ألفاضلي، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت ٢٠٠١م.

٥٩. الدميري، كمال الدين محمد بن عيسى بن علي. (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م). حياة الحيوان الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

٦٠. الدوري، عبد العزيز. العصر العباسي الأول، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٨م.

٦١. الديار بكري، حسين بن محمد الحسن. (ت٩٦٦هـ/١٥٥٩م). تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، مؤسسة شعبان للنشر، بيروت (د.ت).

٦٢. الذهبي،الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (ت٧٤٨هـ١٣٤٧م). دول الإسلام، تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩١م.

٦٣. العبر في خبر من غبر، ط١، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

٦٤. تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٥٤م.

٦٥. كتاب دول الإسلام، ط١، دار المعارف النظامية، حيدر آباد.(د.ت)

٦٦. الزركلي، خير الدين. الإعلام، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.

٦٧. سالم، السيد عبد العزيز. العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٧٧م.

٦٨. ألسبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م). طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة (د.ت).

٦٩. السيوطي، الحافظ جلال الدين. (ت٩١١هـ/١٥٠٥م). تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٢م.

٧٠. طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٩٤م.
٧١. الشابستي، أبو الحسن علي بن محمد. (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م) الديارات، ط١، دار الرائد العربي، ط١، بيروت (د.ت).
٧٢. شلبي، أحمد. التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
٧٣. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٥م.
٧٤. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) الملل والنحل، دار صادر، بيروت (د.ت).
٧٥. الشواورة, فتحي يوسف, خلافة الواثق بالله, رسالة دكتوراه غير منشورة, جامعة مؤتة, الأردن, ٢٠٠٨م.
٧٦. سياسة الخليفة المهدي الداخلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة, الاردن١٩٩٩م.
٧٧. الشوحة، خلدون. موقف بلاد الشام من الخلافة العباسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٩٢م.
٧٨. الشيخلي، صباح. الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بغداد (د.ت).
٧٩. الصابي، أبو الحسن الهلال بن الحسن(ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، ، الوزراء أو تحفة الأمراء، تحقيق: عبد الستار فرّاج، بيروت، ١٩٥٨م.
٨٠. رسوم دار الخلافة، ط١، تحقيق: ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٤م.
٨١. صبحي، أحمد محمود. في علم الكلام، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٢م.
٨٢. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ط٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥
٨٣. طقوش، محمد سهيل. تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٦م.
٨٤. عبد الباقي، أحمد. سامرا عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩م.
٨٥. عبد الجبار، القاضي (ت٤١٥هـ/١٠٢٤م). شرح الأصول الخمسة، ط١، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٥٦م.
٨٦. عبد الملك المكي، حسين بن عبد الملك الشافعي ألعاصمي. (ت١١١١هـ/١٦٩٩م). سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ط١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
٨٧. العسقلاني، الإمام الحافظ أحمد بن حجر. (ت٧٧٣- ٨٥٢هـ/١٣٧١- ١٤٤٨م). أطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: زهير الناصر، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣م.
٨٨. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. كتاب الأوائل، ط١، تحقيق: محمد السيد الوكيل، المدينة المنورة، (د.ت).

٨٩. العش، محمد أبو الفرج. تاريخ عصر الخلافة العباسية، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

٩٠. العلي، صالح احمد، سامراء دراسة في النشأة والبنية السكانية، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، ٢٠٠١م.

٩١. عمارة، محمد. المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ط١، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٧٢م.

٩٢. العمد، إحسان وآخرون، تاريخ الدولة العباسية، جامعة القدس، ١٩٩٥م.

٩٣. العمرجي، أحمد شوقي إبراهيم. المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية في خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله من سنة ١٩٨- ٢٤٧هـ/٨١٣هـ- ٨٦١م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٩٤. العوا، عادل. المعتزلة والفكر الحر، دار الأهالي للطباعة، دمشق، ١٩٨٧م.

٩٥. الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد. (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت).

٩٦. فوزي، فاروق عمر. التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، بيروت ١٩٨٥م.

٩٧. الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، دار الشروق، عمان، ١٩٩٨م.

٩٨. العباسيون الأوائل، دار مجدلاوي للنشر، عمان ٢٠٠٣.

٩٩. ألقاب الخلفاء العباسيين ودلالاتها الدينية والسياسية، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، دار المعارف، ١٩٧٠.

١٠٠. فوز محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ط١، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٣م.

١٠١. القرعان، ختام محمود. الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك ١٩٩٢م.

١٠٢. القرماني، أحمد بن يوسف. (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م). أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ط١، تحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعيد، دار عالم الكتاب، بيروت ١٩٩٢م.

١٠٣. القضاعي، القاضي محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله. (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، تاريخ القضاعي كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق: جميل المصري، ط١، مكة المكرمة ١٩٩٥م.

١٠٤. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي. (ت٨٢٠هـ١٤١٧م). مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٠م.

١٠٥. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.

١٠٦. الكساسبة، انتصار. صراع البيت العباسي على السلطة في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة ٢٠٠٧م.

١٠٧. الكساسبة، حسين فلاح. السلطة القضائية في العصر العباسي، ط١، مركز زايد للتراث، الإمارات، ط١، ٢٠٠١م.

١٠٨. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. (ت٤٥٠هـ/١٠٨٥م)، نصيحة الملوك، تحقيق: محمد جاسم الحديثي، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦م.

١٠٩. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م.

١١٠. محل، طلب صبار. رسوم دار الخلافة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين ١٩٨٩م.

١١١. محمود، حسن أحمد. العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٥م.

١١٢. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت (د.ت).

١١٣. مسكويه، أبو علي أحمد بن يعقوب. (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م). تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

١١٤. المقدسي، المطهر بن طاهر. البدء والتاريخ المنسوب لأبي زيد البلخي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت).

١١٥. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (ت٨٤٥هـ/١٤٥٠م). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت (د.ت).

١١٦. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م). نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، تحقيق: محمد جابر عبد العال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

١١٧. الهجرسي، محمود. محمد بن عبد الملك الزيات، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٥م.

١١٨. وكيع، محمد بن خلف بن حيان. (ت٣٠٦هـ/٩١٨م). أخبار القضاة، عالم الكتاب، بيروت (د.ت).

١١٩. اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد. (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ط١، تحقيق: عبد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢٠. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي. معجم البلدان، ط١، دار صادر، بيروت.

١٢١. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

١٢٢. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح. (ت٢٨٤هـ/٧٩٨م). كتاب البلدان، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

١٢٣. تاريخ اليعقوبي، ط١، دار صادر، بيروت (د.ت).

ب) المراجع الأجنبية:

124. EI[2], Mihna
125. EI2Mu'tazila
126. Fawsi, Farowq Omar. Studies on the history of sects in medieval Islam, Al Albayt University, Jordan. (2001).
127. Sandres, J. A history of Medieval Islam, London, 1982.
128. Kasassbeh, Hussein F. The office of qadi in the early Abbasid caliphate (132-247/750-861), Amman, 1994.
129. Marshall, O. S Hodgson. The venture of Islam, Chicago press, 1982.
130. Masudul Hassan, History of Islam, London, 1994.
131. Patton, W. M. Ahmad bin Hanbal and the Mihna, Leiden, 1897.

The Religion Policy of Al Khaliphah Al-Mutawakil Ala Allah 232-247H/847-861AM.

Fat'hy yosuf Alshawawreh

Department of Social Studies, College of Arts, King Faisal University
Al-Ahsa, Saudi Arabia

Abstract:

The era of al mutawakil ala Allah, the tenth Abbasid Caliph, characterized by his religious policy that he adopted and which was against the intellectual and religious trends at his era, as he weakened Mu'tazila and persecuted its followers, and prohibited them to talk about that. As for the Alids, he was sever towards them, and he took against them some preventive measures for the political safety of the country.

He forced new restraints against the Dhimis (the Jewish and the Christians who lived under the Islamic rule), by issuing acts organizing their appearance and their roles. In addition, he limited their financial power avoiding their beliefs. All that was for his need for their support in his crisis with the Turkish military leaders surrounding him. That policy resulted in the empowerment of the Sonnah trend in the society where the fuqaha proved to play an important role in strengthening the Sonnah trend.